شعراء الرسول ﷺ

الطبعة الأولى

١٤٣٤-٢٠١٣

حقوق الطبع محفوظة

شعراء الرسول ﷺ

إبراهيم النعمة

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمتَ به الشرائع، وأرسلته رحمة للعالمين، سيدنا محمدﷺ، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف إلى الناس كافة.! اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، إنّك لا تُخلف الميعاد.!

أمّا بعد:

فهذه لمحات خاطفات، تحكي سيرة ثلاثة من شعراء رسول الله ﷺ، ونماذج يسيرة من شعرهم، ودفاعهم عن الإسلام. ولم يبرز شعرهم إلى الوجود ويدوَّن في بطون الكتب، ويكتب له الانتشار والذيوع، لو لم يقف شعراء المشركين ذلك الموقف المفتئت في هجاء رسول اللهﷺ وصحابته والدعوة الإسلامية، فقد أوغلَ المشركون في ذلك. وإذا علمنا أن الشعر –إذ ذاك– كان سلاحا من أقوى الأسلحة الإعلامية التي تستطيع أن ترفع الوضيع من الناس في حالة الرضا، وتسقط الرفيع في حالة الغضب، أدركنا الأثر الكبير الذي يتركه الشعر في قبول الدعوات أو رفضها.

وإذا علمنا –مرة أخرى– أن شعراء قريش قوم وثنيون لا يؤمنون بالله الإيمان الحق، ومنهم من لا يؤمن بيوم آخر يحاسب الله فيه الناس على ما قالوا أو فعلوا، فلا يصدهم صاد عن قول ما يريدون قوله بالباطل، أدركنا مدى الظلم الذي يلحق الأبرياء من الناس الذين تنهال عليهم المفتريات من هنا وهناك،

ويكثر عليهم الهجاء!.

ويهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، ويبدأ شعراء جبهة الكفر يصدّون عن الإسلام ويؤذون الرسول ﷺ بشعرهم، والله تعالى قد فتح المجال أمام من ظُلم ليردَّ على من ظلمه فقال تعالى:

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ سورة النساء فطلب صلوات الله وسلامه عليه من الأنصار أن ينصروه بلسانهم كما نصروه بسلاحهم. ويتصدى للقيام بهذه المهمة ثلاثة من شعراء الأنصار هم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ﷺ وكلهم من الأنصار، وكان لكل واحد منهم منهجه الخاص به في الرد على المشركين وتبيان مثالبهم، وتعييرهم بالكفر وعبادة الأصنام، والفخر بانتصارات المسلمين.

واستمرت المناوشات بين شعراء جبهة الإيمان وشعراء جبهة الشرك إلى أن فتح الله مكة لرسول اللهﷺ، ودخل الناس في دين الله أفواجا وأسلمت قريش.. عند ذاك توقفت تلك المناوشات، وصار الأنصار وقريش إخوانا في الإسلام.

ولا بد لي أن أشير هنا إلى أن شعراء الصحابة كثر عددهم. وقد ذكر الأستاذ وليد الأعظمي رحمه الله في كتابه القيم (شعراء الرسول ﷺ) أسماء ١٠٩ من هؤلاء الشعراء والشاعرات مع ذكر نماذج من شعر كل واحد منهم سوى الثلاثة الذين سأتحدث عنهم في هذا الكتاب. أما الذين وقع عليهم العبء الأكبر من شعراء الرسول في الدفاع عن حصون العقيدة وقلاع الإيمان بشعرهم فهم هؤلاء الثلاثة.

وهذا الكتاب ومضات شعرية يتحدث في جوانب من شعر شعراء الرسول الثلاثة، وفذلكة عن سيرة كل واحد منهم، وهو في الوقت نفسه يكشف عن جانب من السيرة النبوية. وسميته (شعراء الرسولﷺ) على عادة أكثر الكتاب، ولو أن الأولى أن يسمى شعراء الإسلام.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وينفع به كاتبه وقارئه يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!.

إبراهيم النعمة

١/ محرم الحرام/ ١٤٣٤

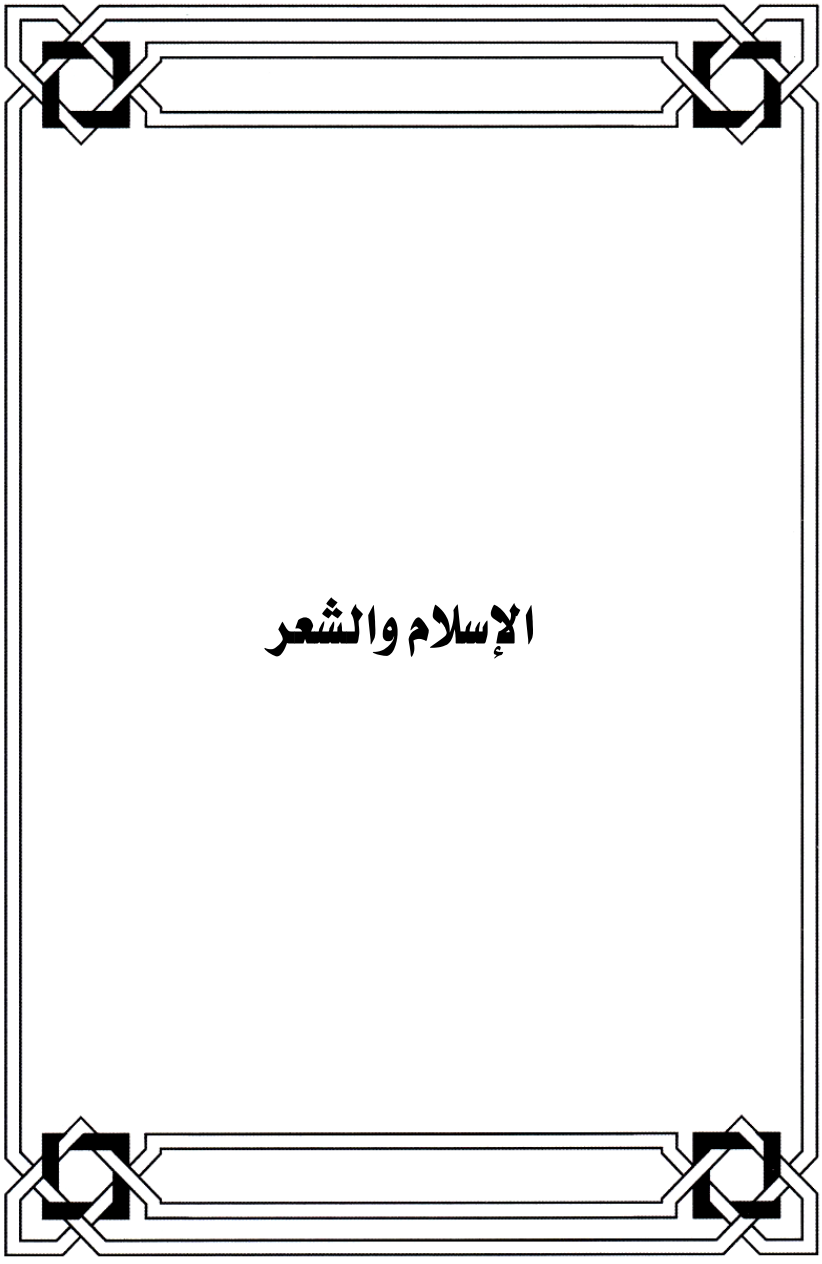

الإسلام والشعر

الإسلام والشعر

عناية الأمة العربية بالشعر

عنيت الأمة العربية بالشعر والشاعر منذ عصور واغلة في القدم؛ لأن الشاعر كان يسجل مفاخر قومه ومآثرهم، ويشيد بفضائلهم من الكرم والشجاعة والوفاء والإيثار وإغاثة الملهوف... ويقوم بدور كبير في تقوية عزيمة قومه إذا نادى المنادي للغزو والقتال، وما أكثر القتال الذي كان يقع في العصر الجاهلي حتى قال شاعرهم القطامي:

وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانـا

لذلك كانت القبائل يهنئ بعضها بعضا إذا نبغ فيها شاعر!.

لقد انغرس الشعر في قلوبهم، وصار جانبا مهما من جوانب حياتهم، فلا تكاد مجالسهم تخلو منه يستوي في ذلك شيبهم وشبابهم، أغنياؤهم وفقراؤهم. ويكفينا أن نعلم أن أكبر شيء كانت تعظمه العرب في الجاهلية: الكعبة المشرفة، فقد اختاروا سبع قصائد من أفضل ما قالته العرب وكتبوها بماء الذهب، وعلقوها بين أستار الكعبة وسموها بالمذهبات، وسموها تارة أخرى بالمعلقات؛ تكريما للشعر[1].

---

(١) هناك من ذهب إلى أن مسألة تعليق القصائد السبع على الكعبة لا سند لها، ولم تظهر هذه الدعوى إلا في القرن الثالث، وأول من ذكرها(ابن الكلبي) المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦، أما قبل ذلك فلم نجد لها ذكرا لدى كل من كتب عن المعلقات. وبعد ابن الكلبي ذكر تعليقها ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون والبغدادي في خزانة الأدب. وقد أتى الدكتور أحمد محمد الحوفي بأدلة كثيرة نفى فيها أنها علقت على الكعبة وخرج بنتيجة هي: إنها معلقات غير معلقات.

ينظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي ص٢٠١-٢١٢، الطبعة الرابعة مطبعة نهضة مصر القاهرة.

ولما بعث الله محمداً ﷺ نبيا ورسولا للعالمين، تصدى له كفار مكة في الفترة المكية، والحقوا به وبصحابته الواناً من الأذى. أما سلاح الشعر ضد النبي ﷺ ودعوته، فلم يشهره المشركون في ابتداء الدعوة؛ لأن المسلمين كانوا قلة قليلة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها فضلا عن أن تهدد جبهة الكفر والشرك، ولم يشهر المشركون سلاح الشعر ضد دعوة الإسلام إلا بعد أن هاجر النبي ﷺهجرته المباركة إلى المدينة المنورة، وتكونت النواة الأولى لدولة الإسلام .. عند ذاك صارت قريش تحس بالخطر الذي يتهددها، فاتخذت لها وسائل عديدة لصد الناس عن دعوة الإسلام، وأول تلك الوسائل وسيلة الشعر.

الإسلام والشعر

الشعر وسيلة من الوسائل المهمة للتعبير عن مشاعر الإنسان وعواطفه، وهما أمران فطريان في نفس الإنسان. والإسلام هو دين الفطرة، لم يأت ليقف (حجر عثرة) أمامهما بل فسح المجال لهما واسعا رحيبا، بشرط أن يكون الشعر لا قبح فيه ولا بذاءة، ولا يؤدي إلى ما فيه ضرر. وننظر فيما قاله الشعراء قديما وحديثا فنرى فيه الشعر المذموم والمحمود:

أما الشعر المذموم، فذلك الشعر الذي يبعث على الحقد والكراهية والبغضاء في النفوس، ويفرق بين ابناء المجتمع الواحد، ويدعو الى التفسخ الخلقي والخروج عن القيم النبيلة، وفيه مبالغات تحمل في طياتها الكذب حتى قيل: أحسن الشعر أكذبه، لأن الشعراء يعيشون –في الغالب– في عالم الخيال.

وأما الشعر المحمود، فهو الذي يبني الأمم، ويدعو الى مكارم الأخلاق والقيم. فلم يذم الإسلام هذا اللون من الوان الشعر، بل أثنى الثناء الحسن على

من يقوم به. وهكذا لا يذم الشعر لذاته وإنما يذم لمضمونه. وحين نتأمل بقول الله تعالى:

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ سورة الشعراء.

نرى الآية تشير إلى مسلك الضلال الذي سلكه أكثر الشعراء، فلم يسلكوا المسلك القويم المستقيم، فصاروا يهيمون في غيهم هنا وهناك، فيمدحون قوماً بالباطل، ويهجون آخرين بالكذب، ويغالون بأغراض الشعر من المديح والفخر والهجاء وغير ذلك فيتجاوزون حد القصد.

وأما الذين يلتزمون القصد في قولهم، ويدعون إلى الإيمان بالله الإيمان الحق ومكارم الأخلاق والدعوة إلى الإسلام، فقد استثناهم القرآن من الذم، ويدل على هذا ما رواه سالم البراد مولى تميم الداري فقال:

(جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي ﷺ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾)[1] سورة الشعراء . فذهب عنهم ما

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٧٦٢ ، تحقيق مكتب التبيان، الطبعة الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩ دار ابن الجوزي، القاهرة.

كانوا يجدونه من حرج شديد.

ولما بدأت قصائد المشركين تترى تنال من النبي ﷺ وصحابته والإسلام، فقد اضطر شعراء المسلمين أن ينزلوا إلى ميدان معركة الشعر، ويقولوا للمشركين مثل ما يقولون لهم، وبخاصة بعد أن دعاهم النبي ﷺ إلى ذلك. ومنذ ذلك الوقت اهتم المسلمون بالشعر أكثر من ذي قبل؛ فصاروا يرددونه في المسجد والبيت، وفي الحضر والسفر، وفي السلم والحرب.

ولقد حرص الصحابة على الاهتمام بالشعر، فكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يحض على تعلمه ويسميه ديوان العرب ويقول:

(الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك)[1].

ولم يكتفِ ابن عباس بما قاله، بل كان يردد الشعر وهو في المسجد. ولما سأله نافع بن الأزرق عن معاني آياتٍ كثيرة، فأجابه ابن عباس بما قالته العرب من الشعر. وقد أبدع (ابن الونان) في منظومته التي ذكر فيها محاسن الشعر فقال:

واعنَ بقول الشعر فالشعر كما ... ل للفتى إن به لم يرتزق
والشعر للمجد نجاد سيفه ... وللعلى كالعِقدِ فوق العُنُقِ
فقله غيرَ مكثر منه ولا ... تعبأ بقول جاهلٍ أو أحمق
ما عابه إلا عييٌّ مفحمٌ ... لعَرفه الزكيّ لم يستنشقِ

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٦٩، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨، دار الكتب العلمية بيروت.

كم حاجة يسّـَرها وكم قضـى بفـكِّ عـانٍ وأسـير موثـــق

ومنها:

وكم حـديث جاءنـا بفضـله عن سـيد عـن الهـوى لم ينطـق

وقد بنـــى المنـبر لابـن ثابـتٍ فكـــان للإنشـاد فيـه يرتقـــي

ومنها:

لو لم يكن للشعر عند من مضـى فضل على الكعبة لم يعلق

لـــو لم يكـــن فيـه بيـــان آيـــة ما فسرت مسائل ابن الأزرق[1]

الرسول ﷺ يدعو شعراءه الى الرد على شعراء المشركين

بعد أن هاجر النبي ﷺ الى المدينة، وتشكلت النواة الأولى لدولة الإسلام، عزَّ على المشركين أن يأخذ الإسلام طريقه في القبائل العربية، فاتبعوا وسائل شتى لوضع العقبات أمام من يريد أن ينضوي تحت لواء الإسلام، فقام شعراؤهم بنفث سمومهم وافتراءاتهم على النبي ﷺ والإسلام، وكثرت قصائدهم في إيذاء النبي والمسلمين!. وتصل قصائدهم الى القبائل العربية خارج المدينة المنورة؛ فتكون حائلا بينهم وبين الاسلام؛ اذ يظنون ان ما يقوله المشركون من قريش حق لا مرية فيه فهم اهل النبي وعشيرته واعلم الناس به.

ويسمع المسلمون ما يقوله المشركون واليهود من أكاذيب ومغالطات عن

(١) مسائل ابن الأزرق: هي الأسئلة التي سألها نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس طالبا منه تفسير كلمات وردت في القران الكريم، فأجابه ابن عباس عن تفسيرها، مستشهدا بتفسير كل كلمة بما قالته العرب من الشعر. وقد نقل هذه المسائل السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) مدرجة في باب: (معرفة شروط المفسر وما ينبغي له من معرفة علم اللغة: أسماءً وأفعالا وحروفاً).

الإسلام عامة وعن النبي ﷺ خاصة، فيطلبون من سيدنا علي بن ابي طالب ﷺ ان يقوم بهجائهم، فيرد عليهم علي: إنْ اذن لي رسول الله ﷺ فعلت. ويأتي من يأتي الى النبي الكريم يطلب منه أن يأذن لعلي ليهجو القوم ويرد عليهم، فلم يأذن. ثم قال النبي للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم؟ فقال حسان: انا لها يا رسول الله، وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وتبنى هؤلاء الثلاثة من شعراء النبي القيام بهذه المهمة، وكان أكثرهم تأثيرا على المشركين حسان بن ثابت، وما تضايق المشركون من شيء كما تضايقوا من هجاء حسان لهم. ومن اجل ان يشد النبي ﷺ أزرهم ويشجعهم على القيام بهذه المهمة قال لهم:

(اهجوا بالشعر، ان المؤمن يجاهد بنفسه وماله. والذي نفس محمد بيده، كأنما ينضحوهم بالنبل)[1]

ويشجع النبي ﷺ (حسان) على الاستمرار في هجاء المشركين فيقول له:

(هيِّج الغطاريف على بني عبد مناف. والله لشعرك أشدُّ عليهم من وقع السهام في غبش الظلام)[2].

وهكذا انطلق شعراء النبي ينظمون قصائدهم فتقع في مقتل المشركين ، وتفعل بهم ما لا تفعله السهام؛ فأدخلت الرعب في نفوس عدد من القبائل؛

---

(١) رواه الإمام أحمد ١٢/ ٣٢٠، حديث ١٥٧٣٦، شرحه: حمزة أحمد الزين، الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥، دار الحديث القاهرة.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٢٧، تحقيق علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، طبع سنة ٢٠٠٢ لبنان.

خوفاً من أشعار شعراء النبي ﷺ. وقد نقل ابن عبد البر قول ابن سيرين:

(وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار، حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة)[1].

الرسول الكريم والشعر

الأمة العربية في جزيرتها أمة شاعرة: فينشأ الطفل منذ نعومة أظفاره فيها على سماع الشعر بشتى اغراضه من الفخر والمديح والحماسة والهجاء والوصف والحكم والاعتذار والاستعطاف... في هذا المجتمع الشاعري ولد النبي محمد ﷺ وترعرع وهو يسمع ما يقوله الشعراء، ويسمع أنباء الأسواق التي تعقد للمباراة في الشعر.. فلا نعجب إذا علمنا أن النبي ﷺ كان يرغب بسماع الشعر، وكان أحب إليه من كثير من الكلام، وصارت له ملكة يدرك بها مقاصد الشعراء، وقد روي حديث النبيﷺ: «إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه»[2].

كما روي عنه أيضا:

---

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ١/ ٤٠٢، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثالثة ٢٠١٠، دار الكتب العلمية بيروت

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ١/ ٢٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١ دار الكتب العلمية بيروت.

«الشعر كلام بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»[1]

ويجلس النبي ﷺ مع صحابته ويدور الحديث حول الشعر فيسأل عبدَ الله بن رواحة عنه -وكان شاعرا-: «ما الشعر» ؟

فيجيبه (شيء يختلج في صدر الرجل، فيخرجه على لسانه شعرا)[2].

وكانت القصائد المُجيدة -وبخاصة التي تحمل الحِكَم- محل اعجاب النبي ﷺبها. فلما أنشده النابغة الجعدي من شعره:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بـوادر تحمي صفوه أن يكـدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فيستحسن النبي ﷺ قوله، ويدعو له بقوله: أجدت؛ لا يفضض الله فاك. قال الراوي: فنظرت اليه، فكأنَّ فاهَ البَرَد المُنهَل، ما سقطت له سن ولا انفلتت[3].

ويعجب النبي ﷺ بقسم من القصائد فيقول: «إن من الشعر لحكمة»[4].

وقد ذكر في سبب ورود هذا الحديث: أن أحد أصحاب النبي ﷺجرح في غزوة، وظل الدم يسيل من جرحه بلا انقطاع، ولم ينفع فيه ضماد، حتى جاء حسان بن ثابت رضي الله عنهفقال: (ائتوني بكافور. فوضع الكافور على الجرح فجف

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد باب: الشعر حسنه كحسن الكلام حديث ٨٦٥ ص٣٩٤، والطبراني في الأوسط ٥/ ٣٨٦، حديث ٧٦٩٦.

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٢٨٩ بتحقيق: محمد محمود الشنقيطي، لجنة التراث العربي.

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني ص٢٢ بتحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة ا لثالثة ١٤١٣-١٩٩٢ مطبعة المدني القاهرة.

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب (باب: باب الشعر) ٢/ ١٢٣٥، حديث ٣٧٥٥.

الدم. ثم سأل النبي (حسان) من أين اقتبست هذا يا حسان؟ فقال: من قول الشاعر:

فكرتُ ليلة وصلها في هجرها فجرت مدامع مقلتي كالعندم

فطفقت امسح مقلتيَّ بخدها إذ عادة الكافور امساك الدمِ[1]

وقال الماوردي:

روي أن النبيﷺ انشد عنده قول الأعرابي:

وحيّ ذوي الأضغان تسبِ قلوبهم تحيتك الحسنى فقد يدبغ النغل

فإن دحسوا بالمكر فاعفُ تكرماً وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منه سماعه وإنّ الذي قالوا وراءك لم يُقل

فقال النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا»[2].

وروى عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال:

وفد إلى رسول الله الزُبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، فقال الزبرقان: يا رسول الله، أنا يد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم،آخذُ لهم بحقّهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعني عَمْراً.

فقال عَمْرو: أَجَلْ يا رسولَ اللهّ؛ إنه مانعٌ لِحَوْزته، مُطَاعٌ في عشيرته، شديد العَارِضة فيهم. فقال الزبرقان: أَمَا إنه واللهّ قد علم أكثرَ مِمَّا قال، ولكنه حسدني

(١) الإسلام والشعر تأليف الدكتور يحيى الجبوري ص٦١-٦٢، طبع سنة ١٣٨٣-١٩٦٤، مطبعة الإرشاد، بغداد.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٧٢، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

شَرفي! فقال عمرو: أما لئن قال ما قال؛ فواللهّ ما علمته إلاَّ ضَيّق العَطَن زمر المروءة، أَحْمَقَ الأب، لئيمَ الخالِ، حديثَ الغِنَى. فرأى الكراهَةَ في وَجْه رسول الله ﷺ لمّا اختلفَ قولُه، فقال: يا رسول اللهّ، رضيتُ فقلت أحسنَ ما علمت، وغضبتُ فقلت أقْبحَ ما علمت، وما كذبت في الأُولى، ولقد صَدَقْتُ في الثانية! فقال رسول الله ﷺ: إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لِحِكْمَة. ويروى لَحُكما، والأول أصحّ.

والذي روى أهل الثبَت، من هذا الحديث أنَه قَدِم رجلان من أهْل المشرق فخطبا؛ فعجب الناسُ لبيانهما؛ فقال رسول الله ﷺ: إنّ من البيان لسحْرا، أو إنَّ من بعض البيان لسحرا)[1].

وهناك روايات أخرى قيلت في أسباب ورود الحديث. ولا عجب في ذلك؛ فإن الحديث قد يتكرر بتكرر المناسبات.

ويأتي كعب بن مالك وينشد النبي ﷺ

جاءت سسخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالــب الغــلاب

فيستحسن النبي منه ذلك ويقول له: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا»[2].

وروى عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي عن أبيه قال:

---

(١) زهر الآداب لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ١/ ٢٧-٢٨، شرحه الدكتور صلاح الدين الهواري، طبع سنة ١٤٢٩-٢٠٠٨، المكتبة العصرية صيدا لبنان.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٧٧، ضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار صادر بيروت.

ردفت وراء النبي ﷺ فقال:هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم. قال: هيه؛ فأنشدته بيتا، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت؛ فقال: لقد كاد يسلم في شعره[1].

ولم يكتف النبي ﷺ في استحسان ما كان يستحسنه من أشعار الصحابة، بل كان يستحسن أشعار ناس ليسوا بمسلمين إذا كان شعرهم يدعو إلى مكارم الأخلاق، ولم يصطدم مع مبادئ الإسلام. فحين أنشد النبي منشد قول سويد ابن عامر المصطلقي:

لا تأمنن وإن أمسيت في حـرم إن المنايا بجنَبي كل إنســان

فكل ذي صاحب يوما يفارقـه وكـل زاد وإن أبقيتـه فــانٍ

فيستحسن النبي قوله ويقول: «لو أدرك هذا الإسلام لأسلم»[2].

وينشده من يُنشده قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنــال به كريم المأكـل

فيعجب بهذا البيت، حتى قال: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنتره»[3].

وهذه قتيلة بنت النضر بن الحارث كان والدها ممن أسر يوم بدر كافرا فأمر

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٣٣٥ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى ١٤١٥، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٦/ ١٠٧، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة نهضة مصر، القاهرة.

(٣) الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ٨/ ٢٥٠، تحقيق سمير جابر الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

النبي بقتله فقتل فقالت:

يا راكباً إنّ الأثيلَ مَظِنَّة ... من صبحِ خامسةٍ وأنت موفَّقُ
أبلِغْ بها ميْتاً بأنَّ تحيةً ... ما إنْ تَزالُ بها النجائبُ تخفِق
مِنِّي إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادت بِواكِفِها وأخرى تخنُق
هل يَسمعنِّي النضـرُ إنْ ناديْتُه ... أم كيف يسمعُ ميت لا ينطِق
أَمُحمد يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... من قومِها والفحلُ فحلٌ مُعْرِق
ما كان ضرَّكَ لـو مننْت وربـــما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنــَق
أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقُّهُم إن كانَ عتقٌ يعتقُ
ظلت سيوف بني أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هناك تُشقَّقُ
صبرا يقـــاد إلى المنيـــة متعبـــاً ... رسف المقيَّد وهو عـانٍ موثقُ[1]

فلما بلغ النبي هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه.

ولم يترك النبي ﷺ شعراء الصحابة يقولون الشعر كما كانت تقوله العرب في الجاهلية، بل وجههم إلى الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه في قول الشعر، فإذا وجد من واحد منهم خروجا عن تلك القيم إلى قيم الجاهلية، يوجهه النبي الى الصحيح من القول، وإذا أحسَّ أن لفظة من ألفاظ الشاعر غيرُها أفضل منها، نبهَهُ اليها. فحين جاء كعب بن زهير إلى النبي ﷺ، وأنشد قصيدته التي يعتذر بها بين يديه ووصل إلى قوله:

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨ طبعة دار صادر .

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

قال له النبي: من سيوف الله؛ فأصلحها كعب.

ولما كتب كعب بن مالك قصيدته في الرد على هبيرة بن أبي وهب، ومنها:

ألا هل أتى غسان عنّا ودونهم من الأرض خرق سيره متنعنع

مجالدُنا عن جذمنا كلَّ فخمةٍ مذرَّبةٍ فيهـــا القوانس تلمــع

قال له النبي: أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم؛ فقال رسول الله ﷺ فهو أحسن فقال كعب: مجالدنا عن ديننا[1].

وكان كعب يفخر بملاحظة النبي ﷺ هذه ويقول: (ما أعان رسول الله ﷺ أحدا في شعره غيري)[2].

ولم يكن النبي ﷺيسكت عن قول إذا شعر أن فيه شيئا من أساليب الجاهلية. فلما سمع النابغة الجعدي ينشد من شعره:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فأحس النبي ﷺأن النابغة غالى في فخره وفي بيته هذا روح جاهلية، فتساءل في إنكار: إلى أين يا أبا ليلى؟ فأجابه النابغة: إلى الجنة!. فسُرّ النبي ﷺبهذه الإجابة وقال: أجل إن شاء الله [3].

وفي موضوع الهجاء كان النبي الكريم يطلب من شعراء صحابته أن لا

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٧٩.

(٢) الإسلام والشعر للدكتور يحيى الجبوري ص٥٧.

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني ص٢١.

يعمموا في هجائهم قبيلة المهجوِّ، ويكتفوا بهجاء المهجوِّ وحده ؛ فكان يقول: «إن أعظم الناس فرية، لرجل هاجى رجلا؛ فهجا القبيلة بأسرها...»[1].

مواعظه ﷺ تنظم شعراً

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يجلس مع صحابته ويدلي بعظاته لهم، فإذا استأذن أحدهم لنظم موعظة من مواعظه أذن له بذلك.

روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

« إنما مثل أحدكم ومثل ماله ومثل عمله ومثل أهله كمثل رجل له ثلاثة إخوة فقال لأخيه الذي هو ماله حين حضره الموت: قد نزل بي ما ترى فماذا عندك؟ قال: مالك عندي غنى ولا نفع إلا ما دمت حيا، فإن فارقتني ذهب بي إلى غيرك، فالتفت النبي ﷺ فقال: أي أخٍ ترونه؟ قالوا: ما نرى طائلا قال: ثم التفت لأخيه الذي هو أهله، فذكر نحوه فقال: أقوم عليك فأمرضك فإذا مت غسلتك وكفنتك وحملتك ودفنتك ثم أرجع فأخبر عنك من سأل قال: فأي أخٍ هذا؟ قالوا: ما نرى طائلاً. ثم قال لأخيه الذي هو عمله نحوه فقال: أتبعك إلى قبرك وأقيم معك وأونس وحشتك، وأقعد في كفنك فلا أفارقك فأي أخٍ هذا؟ قالوا: خيرُ أخٍ، قال: فقام عبد الله بن كرز الليثي فقال: أي رسول الله أتأذن لي أن أقول على هذا شعرا؟ قال: نعم قال: فبات ليلته وغدا فقام على رأس رسول الله ﷺ فقال:

إني ومالي والذي قدمت يـدي كـــراع إليـه صحبة ثم قائـل
لأصحابه إذ هم ثلاثة إخـوة أعينوا على أمري الذي بي نازل

الأبيات

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب (باب: ما كره من الشعر) ٢/ ١٢٣٧، حديث ٣٧٦١.

قال: فما بقي عند النبي ﷺ ذو عين تطرف إلا دمعت عيناه»[1].

ونقل ابن حجر قول قيس بن عاصم قال:

وفدت مع جماعة من بني تميم، فدخلت -على رسول الله- وعنده الصلصال ابن الدلهمس، فقال قيس: يا رسول الله عظنا عظة ننتفع بها فوعظهم موعظة حسنة فقال قيس: أحب أن يكون هذا الكلام أبياتا من الشعر نفتخر به على من يلينا وندخرها فأمر من يأتيه بحسان فقال الصلصال: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس فقال: هاتها. فقال:

تجنب خليطا من مقالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

ولا بد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادي المرء فيه فيقبل

وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل

ولن يصحب الإنسان من قبل موته ... ومن بعده إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا بينهم ثم يرحل[2]

إنشاد النبي الشعر

ذهبت الكثرة الكاثرة ممن كتبت عن إنشاد النبي ﷺ الشعر إلى أنه عليه الصلاة والسلام لم ينشد من الشعر إلا أقله، وإذا تمثل بشعر، فقد يجعل أوله آخره، وإذا سئل عن ذلك قال: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي»[3].

ولقد تمثل يوماً بصدر هذا البيت على الشكل الآتي:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢١٨.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٥٠.

كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا!.

فقال أبو بكر: إنما قال الشاعر: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: أشهد أنك رسول الله يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ** ﴾سورة يس/ ٦٩[1].

وجاء العباس بن مرداس إلى النبي ﷺ، فسأله النبي: أنت القائل:

فأصبح نهبي ونهب العبيـــ د بيـــــن الأقرع وعيينة؟

فقال أبو بكر: بين عيينة والأقرعِ

فقال النبي ﷺ: هما واحد!. فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ** ﴾[2].

ويعلل أصحاب هذا الرأي عدم إحسان النبي إنشاد الشعر؛ لدفع شبهة الشعر عن القرآن الكريم.

ولم ينقل عن النبي ﷺ من الشعر الموزون إلا قوله

أنـا النبي لا كـــذب انا ابن عبد المطلب[3].

وكذلك أرجاز قليلة اخرى في حفر الخندق في غزوة الاحزاب كان يرددها

اللهم لَوْلَا أنت ما اهْتدَيْنَا ولا تَصَـــدَّقْنَا ولا صَـــلَّيْنَا

فَـــأَنْزِلَنْ سَـــكِينَةً عَلَيْنَـــا وَثَبِّـــتْ الْأَقْـدَامَ إن لَاقَيْنَـا

---

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير للعزيزي ٣/ ٢٩٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٨٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: من قاد دابة غيره في الحرب) حديث ٢٨٦٤ ص٧٤١.

إِنَّ الْأُلى قد بَغَـوْا عَلَيْنَـــا إذا أَرَادُوا فِتْنَـــةً أَبَيْنَـــا

ورفع بها صوته أبينا أبينا[1].

وعن أنس ﷺ قال: خرج رسول اللهﷺ إلى الخَندَق، فإذا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ في غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فلم يَكُنْ لهم عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذلك لهم، فلما رَأَى ما بِهِمْ من النَّصَبِ وَالْجُوعِ قال:

اللهم إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخرة فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَـــارِ والمهاجـــرة

فَقَالُوا مُجِيبِينَ له:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّـــدَا على الْجِهَادِ ما بَقِينَـــا أَبَدَا[2].

وروى البخاري أن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت اصبعه فقال:

هل أنت إلا اصبـــعٌ دميتِ وفي سبيـــل الله ما لقيت[3].

على أن هناك من ينفي أن النبي ﷺ لم ينشد بيت شعر إلا مكسور الوزن بدليل الأبيات الأخيرة التي ذكرناها وغيرها من الأبيات. ولربما أراد النبي بالأبيات مكسورة الوزن: المعنى لا الوزن؛ لكي لا يظهر بمظهر الشعراء. والممتنع بحق النبي صلوات الله وسلامه عليه هو نظم الشعر وليس انشاده ولا التمثل به وقول النبي ﷺ ستة أبيات لا تجعله شاعراً.

الإستشفاع بالرسول ﷺ شعراً

الشعر ديوان العرب. وما من قبيلة الا فيها شعراء يذودون عن حماها

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة الخندق)، حديث ٤١٠٤ ص١٠٣٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: التحريض على القتال) حديث ٢٨٣٤ ص٧٣٥.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: من ينكب في سبيل الله) حديث ٢٨٠٢ ص ٧٢٨.

بشعرهم وينتصرون لها اذا اعتدى عليها معتد. وقد عرف الناس ما للشعر من تأثير في نفس النبي ﷺ، فصار منهم من يستشفع به شعرا ويستجيب النبي فيقوم بنصرة من وقع عليه الظلم. تحدثنا السيرة النبوية: ان من بنود شروط صلح الحديبية وقف الحرب بين النبي ﷺ وقريش عشر سنين، وان من احب ان يدخل في عقد محمد ﷺ فله ذلك، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فله ذلك؛ فدخلت (قبيلة خزاعة) في عهد النبي، ودخلت (بنو بكر) في عهد قريش، ومما تضمنته شروط الصلح: ان القبيلة التي تكون في عقد وعهد أي الفريقين تعد من ذلك الفريق، والعدوان الذي تتعرض له اي من القبيلتين يعد عدوانا على الفريق. وفي شهر شعبان سنة ثمان من الهجرة، اعتدت (بنو بكر) على (خزاعة)، وساعدت قريش حليفتها، ويعد هذا نقضا للعهد مع قريش؛ فبعثت (خزاعة) عمرو بن سالم الخزاعي مستغيثا. فلما وصل الى النبي ﷺ بالمدينة -وكان جالسا بالمسجد مع صحابته- وقف عليه وانشد:

يا رب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا ... وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقَّتلونا ركَّعا وسجَّدا[1].

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٧٣-٢٧٤.

فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال له: نصرت يا عمرو بن سالم. ثم تجهز النبي ﷺ وقام بفتح مكة.

وآن لنا بعد هذا التطواف في عناية الأمة العربية بالشعر وموقف النبي منه، أن نتحدث في عظيم من عظماء شعراء الدعوة الإسلامية، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وملأ أسماع القبائل بشعره الذي نصر به الإسلام، وكان معه روح القدس يؤيده فيما يقول.

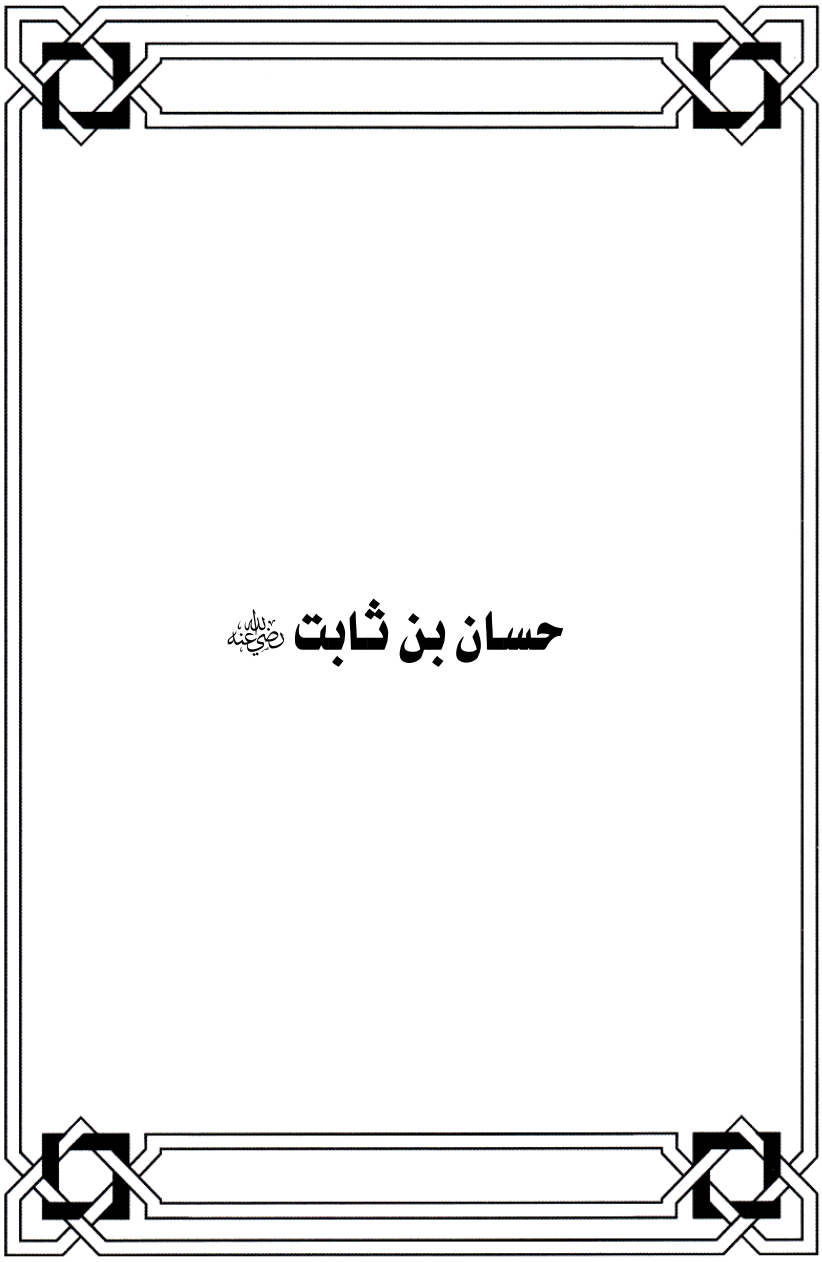

حسان بن ثابت رضي الله عنه

حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ

اسمه ونسبه

هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الخزرجي الأنصاري سيد شعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، وهو شاعر مخضرم، من أسرة يمنية قحطانية، وهو رجل من رجال الأنصار يكنى بأبي الوليد وبأبي الحسام وأبي المضرب؛ لدفاعه عن النبي ﷺوعن الإسلام. وكان لقبيلته شأن كبير في الجاهلية والإسلام: فأبوه كان من اشراف قومه الخزرج وساداتهم، وجده سيد من سادات العرب، حكم بين الأوس والخزرج في (يوم سميمة)؛ فأهدر دماء قومه الخزرج، واحتمل دماء الأوس. أما أمه فهي الفريعة بنت خالد بن خنيس الخزرجية الأنصارية، أسلمت وبايعت النبي ﷺ.

ولد في المدينة المنورة –وكانت تسمى آنذاك (يثرب)– وكان مولده قبل مولد النبي ﷺ بسبع سنوات. نشأ حسان وترعرع فيها، وفتح عينيه على الحروب الدامية بين قومه الخزرج وأبناء عمومتهم الأوس، وكان طبيعيا –آنذاك– بحكم العصبية القبلية أن يدافع عن قبيلته ببيانه وسنانه. نشأ الطفل منذ نعومة أظفاره وعليه مخايل الذكاء والإبداع، وكان ممن تحلى بمكارم الأخلاق من الجود والسماحة والعمل الصالح ودوّن ذلك في شعره. ومعروف أن كل من جادت قريحته بالنبل وجميل الخصال لا بدّ أن يكون هو نفسه قد تحلى بذلك، وإلا صار هدفا سهلا لكل من أراد أن ينافره أو يهجوه. وما هي إلا مدة ليست بالطويلة حتى ذاعت شهرته ووصلت إلى الغساسنة ملوك الشام، والمناذرة ملوك الحيرة في العراق، ومدح حسان الطائفتين في شعره؛ فانهالت عليه العطايا والهدايا من هؤلاء وهؤلاء، وكان كل من

الغساسنة والمناذرة يحرص على الاستئثار بحسان وبشعره؛ لما كان للشعر من أثر كبير –آنذاك– لأنه يقوم بتخليد المآثر والمكارم والأمجاد.

حسان في الجاهلية

ذهب كثير ممن أرخ لحسان بن ثابت أنه عاش ستين سنة في الجاهلية، ولا نعرف عن طبيعة حياته هذه في تلك المدة إلا النزر اليسير مما جاء في قصائده التي أشاد بها بأيام الخزرج، والإعتزاز بماضيها وحروبها، وفيها المدح والهجاء، وتبيان مكارمها، وشجاعة شجعانها، مع الفخر بالكرم والحلم والحكمة.. وشاعت مناقضته لشاعر الأوس (قيس بن الخطيم)، وقد مدح أمراء الغساسنة اعتزازا بهم لأنهم أخواله وليس من أجل الحصول على العطاء منهم وإن اهدوا له الكثير من المال، كما مدح المناذرة أيضا، أما هجاؤه فكان مقذعاً. وكمثال على ذلك ما قال في هجاء قبيلة ثقيف:

إذا الثقفيُّ فاخركمْ، فقولوا ... هلمّ ، فعدَّ شأنَ أبي رغالِ
أبُوكُمْ الأمُ الآباءِ قِدْماً ... وأنتُمْ مُشْبِهُوهُ على مِثَالِ
مثالِ اللؤمِ، قد علمتْ معدٌّ ... فليسوا بالصـّريحِ ولا المَوالي
ثقيفٌ شرُّ من ركبَ المطايا ... وأشباهُ الهجارسِ في القتالِ
ولوْ نَطَقتْ رِحالُ المَيْسِ قالتْ ... ثقيفٌ شرُّ منْ فوقَ الرحالِ
عَبِيدُ الفِزْرِ أوْرَثَهُمْ بَنيهِ ... وآلى لا يَبيعُهُمُ بمَالِ
وما لكرامةٍ حبسوا ، ولكنْ ... أرادَ هوانهمْ أخرى الليالي[1]

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ص ٣٤١-٣٤٢، ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة.

ومما أعلى شأنه وجعله شاعر الخزرج من غير منازع: براعته في قول الشعر واتيانه بأوصاف لم يقلها غيره، فتألق اسمه بين شعراء العرب، وتأهل أن يكون أشعر أهل المدينة.

حسان في الإسلام

ما أعظم مصعب بن عمير! فقد اختاره النبي ليكون سفيره في المدينة المنورة: يشرح للناس عقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه. واستطاع بحكمته وحسن دعوته –وتوفيق الله قبل ذلك– أن ينجح في مهمته، فدخلت أعداد كثيرة من أهل المدينة على يديه في الإسلام، وكان منهم (حسان بن ثابت) ﷺ . وظل من أسلم من أهل المدينة يترقبون رؤية النبي ﷺ. وما إن هاجر النبي هجرته المباركة إلى المدينة، حتى كان باستقباله أهلها فرحين بقدومه وهم يهللون ويكبرون.

ويأتي حسان إلى النبي الكريم فيستقبله خير استقبال، ويجلس معه فيشرب من معينه العذب ومنهله الزلال ومائه الفرات وهديه الكريم، ويفرح بقدومه ويسعد بلقائه، وكيف لا يفرح حسان بقدوم النبي إلى المدينة، وقد نجاها الله من تلك الحروب التي سفكت فيها دماء عزيزة على أهلها.

وننظر إلى شعره بعد أن اكرمه الله بالإسلام وسرى في قلبه نور الإيمان الحق، فنرى منهجه قد تغير عن منهجه في الجاهلية، فصار لا يقول من الشعر إلا الصدق، ويصرح أن أشعر بيت هو الذي يتجلى فيه الصدق في صورة من أجمل صوره فيقول:

وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس إنْ كَيساً وإن حُمُقا

وإنَّ أشعـر بيت أنت قائلــه بيت يقال إذا انشدتــه صدقا[1].

حسان شاعر النبي ﷺ

عاش حسان مع النبي ﷺ وأحبَّ النبيّ من أعماقه، وتوالت قصائده في مدحه ومدح اصحابه ومدح الإسلام. وإذا كان من المشركين من يريد النيل من رسول الله ﷺ، فنجد (حسان) يذب عنه عادية الأعادي، ويهجو من هجاه ويرد عليه باسلوبه نفسه. فلما هجا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب النبي ﷺ قبل إسلامه، ردّ عليه حسان بقصيدة تعد من عيون الشعر ومنها:

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هواءُ
بأن سيوفنا تركَتك عبداً وعبدَ الدار سادتُها الإماء
كَأنّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأسٍ تُعفيِّها الرّوَامِسُ والسّمَاءُ
هجوتَ محمداً ، فأجبتُ عنهُ وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتَهْجُوهُ ، وَلَسْتَ لَهُ بكُفْءٍ فَشَـرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ
هجوتَ مباركاً ، براً ، حنيفاً أمينَ اللهِ ، شيمتهُ الوفاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِّ مِنْكُمْ ويمدحهُ ، وينصـرهُ سواءُ
فَـإنّ أبي وَوَالــِدَهُ وَعــِرْضي لعـرضِ محمـدٍ منكمْ وقاءُ[2]

ومدح النبي ﷺ في قصائد عدة ومنها:

وأحسن منك لم ترَ قط عيني وأجمل منك لم تلـد النسـاء

---

(١) شرح ديوان حسان ص ٢٩٢.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص٧-٩.

خُلقت مبرءاً من كـل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء[1]

ومن ذلك المدح:

أغَرُّ ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللهِّ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ إذ قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشقّ لهُ منِ اسمهِ ليجلهُ فذو العرشِ محمودٌ ، وهذا محمدُ
نَبيٌّ أتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ منَ الرسلِ والأوثان في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنيراً وَهَادِياً يَلُوحُ كما لاحَ الصّقِيلُ المُهَنَّدُ
وأنذرنا ناراً ، وبشـرَ جنةً وعلمنا الإسلامَ ، فاللهَ نحمدُ
وأنتَ إلهَ الخلقِ ربي وخالقي بذلكَ ما عمَّرتُ في الناسِ أشهدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْل مَن دَعا سِوَاكَ إلهاً ، أنْتَ أعْلَى وَأمْجَدُ
لكَ الخلـقُ والـنعماءُ ، والأمرُ كلّهُ فإيّـاكَ نَسْتَهْدي ، وإيّـاكَ نَعْبُـدُ

ووصفت عائشة (رضي الله عنها)رسول الله ﷺ فقالت: كان والله كما قال حسان:

متى يبد في الداجي البهيم جبينُه يلُح مثل مصباح الدجى المتوقدِ
فمن كان أو من ذا يكون كأحمد نظام لحـقٍ، أو نكـال لملحد[2].

وقال رضي الله عنه شعره في سرايا النبي ﷺ وغزواته، وفي مراحل الدعوة الإسلامية في المدينة، ومجَّدَ انتصارات المسلمين، ورثى شهداءهم، ويعد شعره جانبا من وقائع السيرة النبوية.

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ص١٠.

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/ ٦، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثالثة،١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الكتب العلمية بيروت.

تأثير شعر حسان

كان رسول اللهﷺ يدرك تأثير الشعر في العرب، فاتخذه سلاحا يحارب به أعداءه كما يحاربهم بسنانه، وكم من معضلات اخفقت القوة في حلها فجاء الشعر ليداوي السقم ويصلح الخلل ويحقق مالم تحققه صولات الرجال في الحروب، يقول أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله:

(كم من كتابة أغنت عن كتيبة، وكم من قول أغنى من صول، وكم من معركة كادت تدور الدائرة فيها على المسلمين لولا شعراؤهم وخطباؤهم، وشواعرهم وأدبياتهم وفرسان البيان منهم. وقد طالما لعب الشعر الحماسي أدوارا في هذه الفتوح التي قلبت وجه العالم، وطالما منع عنهم خوف العار وارتقاء الأشعار هزيمة نكراء، وداهية دهياء)[1].

لذلك نجده صلوات الله وسلامه عليه يدعو شعراء المسلمين أن يقوموا بدورهم في قول الشعر فقال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم؟ ويسمع حسان ما قاله النبي فيقول: أنا لها،وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مِقْول بين بُصْرى وصنعاء،وهنا يسأله النبي الكريم: (كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان –أي الحارث بن عبد المطلب- وهو ابن عمي؟) فقال: يا رسول الله، لأَسُلَّنَّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين، فقال:(ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك).

فكان يمضي إلى أبي بكر رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم ؛ فكان يقول له:

---

(١) سلاح الشعر للأستاذ أحمد الشرباصي ٣٦-٣٧، سلسلة من الشرق والغرب العدد ٩٤، الدار القومية القاهرة.

كُفَّ عن فلانة وفلانة. فجعل يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا : هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة[1].

هكذا اتجه حسان بشعره يمدح النبي ﷺ والصحابة ويهجو المشركين، ويدق على الوتر الحساس في مثالبهم، فكان وقع قصائده عليهم أشدَّ من وقع الحسام في غلس الظلام.

ولقد أبدع حسان أيما إبداع في قصائده بعد أن وجهه النبي ﷺ إلى اتخاذ الشعر سلاحا يشهره بوجه أعدائه. وأثَّرت قصائده تلك في الدعوة إلى الإسلام، وكانت القبائل العربية تخشى من لسانه، حتى إن قبيلة (مزينة) خضعت للإسلام أول الأمر خشية من لسانه.

ويكفينا أن نعلم ما كان من أمر حارث بن عوف بن ابي حارثة، فقد كان يفد إلى النبي ﷺ، ويطلب منه أن يرسل معه من يدعو إلى الاسلام ويفقه القوم به ويكون وهو جارا له؛ فأرسل النبي ﷺ معه رجلا من الأنصار، لكن قبيلة الحارث غدرت به فقتلت الأنصاري.! ويأتي الحارث إلى النبي ليعتذر له عما فعلته قبيلته، وكان النبي ﷺ لا يؤنب أحدا في وجهه؛ فأرسل إلى حسان، فلما بصر بالحارث أنشده:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم؛ فإن محمداً لم يغدر
إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ... والغدر ينبت في أصول السخبر
وأمانــةُ المريّ حيث لقيتــه ... مثل الزجاجة صدعها لم يجبر[2]

(١) اسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٦-٧.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص ٢١٠-٢١١.

ويستمع الحارث إلى هذا التأنيب والهجاء من حسان فيتألم أشد الألم، ولم يستطع أن يتمالك نفسه فقال للنبي ﷺ: (أكففه عني يا محمد، وأؤدي لك دية الخفارة).

ويبدو الأثر الكبير في نفس الحارث من قصيدة حسان، فاستشفع بالنبيﷺ أن يقفه عن الاستمرار في وصف ما حدث فقال: (يا محمد، أنا عائذ بك من شره، فلو مزج البحر بشعره مزجه)[1].

وهكذا كان حسان سيفا مسلطا في رقاب المشركين والناكثين لعهودهم.

ويمضي الزمن، ويعز الله دينه، ويفتح مكة لنبيه وتنتكس رايات قريش وتصير في الرغام، وتزال الحواجز والموانع التي كانت تحول دون دخول الناس في الإسلام، وتعلو رايات الدين هنا وهناك... عند ذاك صارت وفود العرب تفد على النبي ﷺ، وكان من بين تلك الوفود: وفد بني تميم جاءوا إلى النبيﷺ وعلى رأسهم (الزبرقان ابن بدر) و (وعطارد بن حاجب) و (الأقرع بن حابس)، وقام (الزبرقان) بإنشاد قصيدته التي افتخر فيها بالكرم والشجاعة وبحسبه ونسبه.. فلما فرغ قال النبي لحسان: قم فأجب الرجل فيما قال؛ فانطلق حسان ينشد:

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ ... قدْ بينوا سنةً للناسِ تتبعُ
يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سرِيرَتُهُ ... تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ ... أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفعوا
سجيةٌ تلكَ منهمْ غيرُ محدثةٍ ... إنّ الخلائِقَ ، فاعلَمْ ، شرُّها البِدَعُ

(١) الأغاني لابي فرج الصبهاني ٤/ ١٦١.

لا يَرْفعُ النّاسُ ما أوْهَتْ أكفُّهُمُ عندَ الدفاعِ ، ولا يوهونَ ما رفعوا
إن كان في الناس سباقون بعدهمُ فكلُّ سبقٍ لأدنى سبقهمْ تبعُ
ولا يَضَنُّونَ عَنْ مَوْلًى بِفَضْلِهِمِ وَلا يُصِيبُهُمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ
لا يجهلونَ ، وإن حاولتَ جهلهمُ في فضلِ أحلامهمْ عن ذاكَ متسعُ
أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ لا يَطْمَعونَ ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ
كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ ومِنْ عَدُوٍّ عَليهمُ جاهدٍ جدعوا
أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ فمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وَما نَزَعُوا
إن قالَ سيروا أجدوا السيرَ جهدهمُ أوْ قالَ عوجوا عَلَيْنَا ساعةً ، رَبَعُوا
ما زالَ سيرهمُ حتى استقادَ لهمْ أهْلُ الصّليبِ ومَن كانت لهُ البِيَعُ
خُذْ مِنهُمُ ما أتى عفْواً إذا غَضِبُوا ولا يكُنْ همُّكَ الأمرَ الذي مَنَعوا
فإنّ في حربهمْ ، فاتركْ عداوتهمْ شَرَّاً يُخَاضُ عَليهِ الصّابُ والسَّلَعُ
نسمو إذا الحربُ نالتنا مخالبها إذا الزعانفُ منْ أظفارها خشعوا
لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا من عَدُوّهِم وَإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنهمْ في الوغى ، والموتُ مكتنعٌ أسدٌ ببيشةَ في أرساغها فدعُ
إذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لا نَدِب لهُمْ كما يدبُّ إلى الوحشيةِ الذرعُ
أكـرمْ بقومٍ رسـولُ اللهِ شـيعتهمْ إذا تفرّقـَتِ الأهْـوَاءُ والشِّـيَعُ[1]

ولقد كان لهذه القصيدة وقع حسن في نفوس تميم وكل السامعين، فقد بزّت قصيدة حسان قصيدة الزبرقان.! وما إن انتهى حسان من قصيدته حتى قال قائلهم: إن محمداً مؤتى له. وقال الأقرع بن حابس: وأبي لشاعره –أي شاعر

(١) شرح ديوان حسان ص ٢٤٨-٢٥١.

النبي- أشعر من شاعرنا.! وكانت قصيدة حسان هذه من أسباب دخول وفد بني تميم في الإسلام.

هذه الحادثة وأمثال لها، جعلت لحسان مكانة كبيرة في نفس رسول الله ﷺ.

أول شعر قاله حسان في الإسلام

بعد أن بايعت الأنصار النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية وعلمت قريش بذلك خرجت في طريق المدينة لعلها تحظى بمن بايع فتأخذه، فلم يدركوا إلا سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو. فأما المنذر، فلم يتمكنوا من أخذه، وأما سعد، فأخذوه وعذبوه في مكة، ولم يخلصه منهم غير قرشيين اثنين كان يجير لهما في المدينة. وذكر ضرار بن الخطاب هذه الحادثة قبل أن يسلم فقال:

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاءا لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه وكان حريا أن يهـــان ويهدرا

فأجابه حسان بقصيدة منها:

لست إلى سعد ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف الخرقاء يلمعن حسرا

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

فلا تك كالوسنـــان يحلـــم أنه بقرية كســـــرى أو بقرية قيصـــرا

حسان وغزوة بدر

وتمضي الأيام، وقد ملكت السعادة قلب حسان وقلب كل من آمن بالله واليوم الآخر، وقد كان أهل المدينة سمعوا ما فعله كفار قريش بالنبي ﷺ وبمن آمن معه، وكم كانوا يتمنون أن يلتقوهم لينتصروا للنبي الكريم ويشفوا

صدورهم ممن حارب الله ورسوله. ويشاء الله ان تقع غزوة بدر الكبرى وينتصر المسلمون فيها، ويعفِّروا كبرياء قريش في الرغام.. وهنا يأتي دور حسان ليسجل فخره بذلك النصر، ويفخر بالأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ فقال:

قومي الذين هم آووا نبيهم ... وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف ... للصالحين مع الانصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم ... لما اتاهم كريم الأصل مختار
أهلا وسهلا ففي أمن وفي سعة ... نعم النبي ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها ... من كان جارهم دارا هي الدار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردهم ... شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم ... من منجدين ومنهم فرقة غاروا[1]

وتتعدد قصائد حسان بفخره بما أحرزه المسلمون من نصر ترك المشركين يتقلبون على جمر الغضى، ذاكرا ببيانه كيف قتل (عتبة) و (شيبة) ابنا ربيعة، وكيف فرّ من فرَّ من المشركين من المعركة فقال:

لقد علمت قريش يوم بدر ... غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالي ... حماة الحرب يوم أبي الوليد

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٣.

قتلنا ابني ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالأسود
وولت عند ذاك جموع فهر وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا ولم يلووا على الحسب التليد[1]

في غزوة أحد

إنتهت غزوة أحد بتلك الخسارة الكبرى التي لحقت بجيش المسلمين، فقد قتل منهم سبعون، منهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺوأخوه من الرضاعة. وحزن النبي على الذين استشهدوا من صحابته وبخاصة عمه حمزة بن عبد المطلب، وانطلق حسان يرثي حمزة فيقول:

فإنْ تذكروا قتلى ، وحمزةُ فيهمُ قَتِيلٌ ، ثَوَى لله، وهْوَ مُطِيعُ
فإنّ جِنَانَ الخُلْدِ مَنْزِلُهُ بِهَا وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ
وقَتْلاكُمُ في النّارِ أفضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ معاً ، في جوْفِها ، وَضَرِيعُ[2]

ولم تكن هذه القصيدة الوحيدة التي قالها في حمزة، فهناك عدد من القصائد بكى فيها حمزة بن عبد المطلب.

وأصابت المشركين النشوة بما حققوه يوم أحد، فانطلق شعراؤهم –ومنهم عبد الله بن الزبعرى– يفخرون بذلك، ومما قاله ابن الزبعرى:

كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص١٤٠-١٤١.
(٢)شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص ٢٥٩.

صادق النجدة قرم بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل
ليت أشياخي ببـدر شهـدوا جزع الخزرج من وقع الاسل[1]

فردّ عليه حسان بقصيدة، أبطل فيها فخره؛ معللاً الإبتلاء الذي أصابهم، فكان مما قاله:

ذَهَبَتْ بابْنِ الزِّبَعْرَى وَقعةٌ كانَ منا الفضلُ فيها لوْ عدلْ
ولقدْ نلتمْ ونلنا منكمُ وكَذَاكَ الحَرْبُ أحْياناً دُوَلْ
إذ شَدَدْنا شَدّةً صادقَةً فأجأناكمْ إلى سفحِ الجبلْ
إذْ تولونَ عـلى أعقـابكمْ هَرَباً في الشِّعبِ ، أشْباهَ الرَّسَـلْ[2]

الرسول ﷺ يستمع إلى شعر حسان

كان رسول الله ﷺ يستمع إلى حسان وهو ينشد قصائده التي يفخر بها بالنبي وبالصحابة وبالإسلام، ويذبُّ فيها عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة عادية الأعادي، ويهجو المشركين ويستمع الرسول له فيعجب بشعره، ويستحسن منه ما يستحسن ويدعو له. وقد وضع الرسول له منبرا في مؤخرة المسجد يعتليه حسان وينشد شعره. وكان في بعض ليالي السفر يطلب منه أن ينشد له من الشعر. ويبدأ حسان بإنشاد الشعر والرسول الكريم يصغي إليه ويطرب، فلما فرغ من إنشاده قال له الرسول: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل»[3].

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص ٣٠٢.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص٣٠٢- ٣٠٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٠٨/١٢، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروني، دار الفكـر بيروت، والأغاني ٤/ ١٥٠.

وإكراما لحسان، منحه النبيﷺ ضيعة، ووهبه الجارية القبطية (سيرين) – وهي أخت مارية القبطية- أمة النبي ﷺ- فتزوجها حسان، وولدت له (عبد الرحمن)، فكان عبد الرحمن هذا وإبراهيم بن النبي ﷺ أبناء خالة.

ونجد منهج حسان في فخره وهجائه بعد أن أكرمه الله بالإسلام قد اختلف عن منهجه قبل ذلك، فهو يتحدث في شعره عن الدار الآخرة التي هي دار الجزاء: يثيب الله فيها المؤمنين المتقين، ويعذب الكافرين، وقد كان من العرب من ينكر وجود يوم آخر.

ونجد (حسان) حين أنشد قصيدته هذه فلما قال:

هجوتَ محمدا فأجبتُ عنه وعنـــد الله في ذاك الجـــزاء

فقال له النبي: «جزاؤك على الله الجنة يا حسان»

ولَّما قال حسان:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال النبي: «وقاك الله حرَّ النار يا حسان».

وبعد ذلك الفخر والهجاء يعود حسان ويتهدد المشركين ويتوعدهم، ذاكرا أن جيش المسلمين لا يقف أمامه أحد، فسوف يزحف إلى مكة، ويدخلها من (كداء)؛ فأين الفرار؟ فيقول:

عَدِمْنَا خَيْلَنا ، إنْ لم تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ ، مَوْعِدُها كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأعِنّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أكْتافِهَا الأسَلُ الظِّماءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تلطمهنّ بالخمرِ النساءُ

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكانَ الفَتْحُ ، وانْكَشَفَ الغِطاءُ
وإلا ، فاصبروا لجلادِ يومٍ يعزُّ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ
وَجِبْرِيـلٌ أمِيـنُ اللهِ فِينَـا وَرُوحُ القُـدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَـاءُ[1]

ويمضي الزمن، ويزداد المسلمون قوة إلى قوتهم، حتى إذا حان الوقت المناسب لفتح مكة، توجّه النبي لفتحها مع جيشه المؤمن.! ويتذكر النبي ﷺ ما قاله حسان:

عَدِمْنَا خَيْلَنا، إنْ لم تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ، مَوْعِدُها كَدَاءُ

فيقول: ادخلوا من (كداء) كما قال حسان، وذلك بعدما يقرب من سبع سنوات أو أكثر .!

والعجيب أن (حسان) قال قصيدته في دخول المسلمين مكة بعد هجرة النبي ﷺ بمدة ليست بالطويلة، وكان وصفه لدخول مكة قد وقع كما قال، وذكَّر النبي ﷺ أبا بكر بقول حسان:

تظل جيادنا متمطراتٍ تلطمهنَّ بالخمر النساء[2]

رثاؤه لرسول الله ﷺ

ما ان انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، حتى شعر حسان بالوحشة والحيرة، وراح يبكي رسول الله ، ويصور حاله بعد فراقه بمن صار في صحراء كاد يقتله الظمأ بعد أن كان في ماء ونهر فقال في قصيدة له :

---

(١) شرح ديوان حسان ص ٤-٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣، وديوان حسان ص٥.

يا أفضل الناس إني كنت في نهر اصبحت منه كمثل المفرد الصادي[1]

ويصيب (حسان) ما يصيبه من اللوعة والألم بموت النبي فيقول مخاطبا له:

كنت السواد لناظري فعمـي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذرُ[2]

ويستمر حسان في تبيان الآمه ولوعته من فراق النبي، فيرثيه ذاكرا حنانه على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل، وقد أصابهم من الحزن والألم مثل ما أصاب (حسان) فيقول:

كانَ الضياء ، وكان النورَ نتبعهُ بَعْدَ الإلهِ، وكان السّمْعَ والبَصرا

فَلَيْتَنا يوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ وغيبوهُ ، وألقوا فوقهُ المدرا

لمْ يَتْرُكِ اللهَّ مِنّا بَعْدَهُ أحَداً ولمْ يُعِشْ بعدَهُ أُنْثى ، ولا ذَكَرَا

ذَلّتْ رِقَابُ بَني النَّجّارِ كلّهِـمُ وكان أمراً منَ امرِ اللهِ قد قدرا[3]

ويستمر في رثائه للنبي ﷺ فيقول:

ما بَالُ عَينِكَ لا تَنَامُ كأنّمَا كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْلِ الأرْمَدِ

جزعاً على المهديّ ، أصبحَ ثاوياً يا خيرَ من وطىءَ الحصى لا تبعدِ

وجهي يقيكَ التربَ لهفي ليتني غُيّبْتُ قَبْلَكَ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ

بأبي وأمي منْ شهدتُ وفاتهُ في يومِ الاثنينِ النبيُّ المهتدي

---

(١) شرح ديوان حسان ص١٠٠.

(٢) شرح ديوان حسان ص١٦٥.

(٣)شرح ديوان حسان ص١٦٤.

فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّداً متلدداً يا لَيْتَني لم أُولَدِ
أأُقِيمُ بَعْدَكَ بالمَدينَةِ بَيْنَهُمْ ؟ يا لَيْتَني صُبّحْتُ سُمَّ الأسْوَدِ
أوْ حلّ أمرُ اللهِ فينا عاجلاً في روحةٍ منْ يومنا أوْ في غدِ
فتقومَ ساعتنا ، فنلقى طيباً مَحْضَاً ضَرَائِبُهُ كَريمَ المَحْتِدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَارَكِ ذِكْرُهُا وَلدَتْكَ مُحْصَنةً بِسعْدِ الأسعُدِ
نُوراً أضَاءَ على البَرِيّةِ كُلّها مَنْ يُهْدَ للنّورِ المُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَا رَبّ فاجْمَعنا معاً ونَبِيَّنَا في جَنّةٍ تَثْني عُيُونَ الحُسّدِ
في جَنّةِ الفِرْدَوْسِ واكتُبْها لَنَا يا ذا الجلالِ وذا العلا والسؤددِ
واللهِ أسْمَعُ ما بَقِيتُ بهالِكٍ إلا بكيتُ على النبيّ محمدِ[1]

مكارم الأخلاق

دعا حسان إلى مكارم الأخلاق وترك سيئها في عدد كثير من شعره، فمن ذلك قوله:

أعْرِضْ عن العَوْراء إنْ أُسْمِعتَها واقعدْ كأنكَ غافلٌ لا تسمعُ
ودعِ السؤالَ عن الأمورِ وبحثها فَلَرُبّ حافِرِ حُفرَةٍ هُوَ يُصْرَعُ
والزمْ مجالسةَ الكرامِ وفعلهمْ وإذا اتّبَعْتَ فأبْصِرَنْ مَنْ تَتبَعُ
لا تتبعنّ غوايةً لصبابةٍ إنّ الغوايةَ كلَّ شرٍّ تجمعُ[2]

ودعا إلى القناعة وعدم التكالب على الدنيا فقال:

ما يقسمِ اللهُ أقبلْ غيرَ مبتئسٍ منهُ ، وأقعدْ كريماً ناعمَ البالِ

---

(١) شرح ديوان حسان ص ٩٧-٩٨.

(٢) شرح ديوان حسان ص٢٥٩-٢٦٠.

ماذا يحاولُ أقوامٌ بفعلهمِ إذ لا يزالُ سفيهٌ همهُ حالي

لقَدْ علِمْتُ بأنّي غالِبي خُلُقي على السماحةِ ، صعلوكاً وذا مـالِ

وأبدع حسان كل الإبداع في قصيدته هذه حين قال:

أصونُ عرضي بمالي لا أدنسـهُ لا بَارَكَ اللهُ بعدَ العِرْضِ في المـالِ

أحتالُ للمالِ ، إن أودى فأجمعهُ ولسْتُ لِلعِرْضِ إن أوْدَى بمُحتالِ[1]

من فضائل حسان

وقف حسان بعد أن أكرمه الله بالإسلام كالطود الشامخ في وجه المشركين، وكل من يريد الإساءة إلى النبي ﷺأو إلى صحابته أو الإسلام، وصارت قصائده تترى هنا وهناك، فتترك المشركين ومن يريد النيل من هذا الدين يتقلبون على جمر الغضى. وكان النبي الكريم على معرفة بشاعرية حسان فكان يدعوه إلى هجائهم، ويستمع إلى بعض ما كان يلقيه حسان في المسجد، وكان صلوات الله وسلامه عليه يستحسن شعره، فيقول له: «اهجهم- أو هاجهم- وجبريل معك»[2].

وقال صلوات الله وسلامه عليه لحسان يوم قريظة:

«أهجُ المشركين؛ فإن جبريل معك»[3].

عن سعيد بن المسيب قال:

---

(١) شرح ديوان حسان ص٣٢٦-٣٢٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) حديث ٤١٢٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) حديث ٤١٢٤.

(مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فقال: كنت أُنْشِدُ فيه وَفِيهِ من هو خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى أبي هُرَيْرَةَ فقال: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول أَجِبْ عَنِّي اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ قال: نعم)[1].

(وعن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «اهْجُوا قُرَيْشًا فإنه أَشَدُّ عليها من رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إلى ابن رَوَاحَةَ فقال: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فلم يُرْضِ فَأَرْسَلَ إلى كَعْبِ بن مَالِكٍ. ثُمَّ أَرْسَلَ إلى حَسَّانَ بن ثَابِتٍ، فلما دخل عليه قال حَسَّانُ: قد آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إلى هذا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ،ثُمَّ ادلع لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فقال رسول اللهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ فان أَبَا بَكْرٍ اعلم قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وان لي فِيهِمْ نَسَبًا حتى يُلَخِّصَ لك نَسَبِي، فاتاه حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ فقال: يا رَسُولَ اللهِ، قد لَخَّصَ لي نَسَبَكَ؛ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةُ من الْعَجِينِ قالت عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول لِحَسَّانَ: «ان رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ ما نَافَحْتَ عن الله وَرَسُولِهِ» وَقَالَتْ سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى)[2].

في صحبة الخلفاء الراشدين

احب حسان الخلفاء الراشدين وأثنى على كل واحد منهم الثناء الحسن وهذه نبذة مختصرة عمّا قاله فيهم:

١- ابو بكر الصديق ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدأ الخلق (باب: ذكر الملائكة) حديث ٣٢١٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضائل حسان بن ثابت)، حديث ٢٤٩٠، ٤/ ١٩٣٥-١٩٣٦.

كان حسان قد مدح ابا بكر وأثنى عليه في حياة النبي ﷺ فقال:

إذا تذكرتَ شجواً من أخـي ثقـةٍ فاذكرْ أخـاكَ أبـا بكـرٍ بـما فعـلا
التـاليَ الثـانيَ المحمـودَ شـيمته وأولَ الناسِ طُراً صدّقَ الرسـلا
والثانيَ اثنينِ في الغارِ المنيفِ وقـدْ طافَ العَدُوُّ بـهِ إذْ صَـعَّدَ الجَـبَلا
وكان حبَّ رسولِ الله قد علمـوا مـن البَرِيّـةِ لمْ يعـدِلْ بـهِ رَجُـلا
خَيْرُ البَرِيّـةِ أتقاهـا وأرْأفُهـا بَعْدَ النبيّ ، وأوْفاهـا بمـا حَمَلا[1]

وظل حسان على حبه لأبي بكر. ولّما هجا مسافع بن عياض التيمي –وهو من قبيلة أبي بكر– منعته منزلة النبي ومنزلة أبي بكر من هجاء شديد له فقال:

يا آلَ تيمٍ ألا ينهى سفيهكمُ قبْلَ القِذَافِ بقوْلٍ كالجَلامِيدِ
لولا الرسولُ ، فإني لستُ عاصيهُ حتى يغيبني في الرمسِ ملحودي
وَصَاحِبُ الغَارِ ، إني سوْفَ أحفظُهُ وطلحةُ بنُ عبيدِ الله ذو الجودِ
لقدْ رميتُ بهـا شنعـاءَ فاضحـةً يظلُّ منها صحيحُ القومِ كالمودي[2]

ولما انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه، وتولى الخلافة من بعده أبو بكر الصديق تولى حسانَ بالعطف والرعاية كما كان يتولاه رسول الله ﷺ.

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان أبو لؤلؤة المجوسي قد ارتكب جريمة شنعاء نكراء كبرى حين طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في الصلاة. ولما مات عمر رثاه حسان، فكان مما قاله في

(١) شرح ديوان حسان ص ٢٩٩-٢٣٠.

(٢) شرح ديوان حسان ص ١٣٥-١٣٦.

رثائه:

وفجَّعنا فيروزُ لا درَّ درهُ بأبْيَضَ يَتْلُو المُحْكَمَاتِ مُنِيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا أخي ثقةٍ في النائباتِ ، نجيبِ
متى ما يقلْ لا يكذبِ القولَ فعلهُ سريعٍ إلى الخَيْرَاتِ غَيْرِ قَطُوبِ[1]

٣- عثمان بن عفان ﷺ

كان حسان كثير الذكر لمواقف عثمان لنصرة الإسلام. ولما استشهد مظلوماً رثاه بعدد من القصائد منها:

أتركتمُ غزوَ الدروبِ وجئتمُ لقتالِ قومٍ عندَ قبرِ محمدِ
فَلَبِئْسَ هَدْيُ الصّالحينَ هَدَيتُمُ وَلَبِئْسَ فعْلُ الجاهِلِ المُتعمِّدِ
إن تُقبِلوا نجعَلْ قِرَى سَرَوَاتكم حولَ المدينةِ كلَّ لدنٍ مذودِ
أوْ تُدْبِروا ، فَلَبِئْسَ ما سافَرْتُمُ ولمثل أمرِ إمامكمْ لمْ يهتدِ
وكأنّ أصحابَ النبيّ ، عشيةً بدنٌ تنحَّرُ عندَ بابِ المسجدِ
فابكِ أبا عمروٍ لحسنِ بلائهِ أمسى مقيماً في بقيعِ الغرقدِ[2]

٤- علي بن ابي طالب ﷺ

كان حسان كثير الفخر بسيدنا علي بن ابي طالب، لما قتل في غزوة الاحزاب عمرو بن ود العامري فقال:

بقيتكم عمرو ابحناه بالقنا بيثرب نحمي والحماة قليل

---

(١)شرح ديوان حسان ص ٣٩-٤٠.

(٢) شرح ديوان حسان ص١٠١-١٠٢.

ونحن قتلناكم بكل مهند ونحن ولات الحرب حين نصول

ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم في الهالكين تجول[1]

وهناك أبيات أخرى قالها حسان في فخره بعلي ﷺ.!

وفاته

وبعد هذا العمر المديد وقد بلغ عشرين ومائة عام، عاش نصفه في الجاهلية ونصفه في الإسلام، جاءه الأمر الذي لا مرد له بعد أن كف بصره، وضعف جسمه فتوفي سنة خمس وأربعين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد أن ترك لنا تلك الروائع من الشعر الأصيل.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ١٨٣-١٨٤.

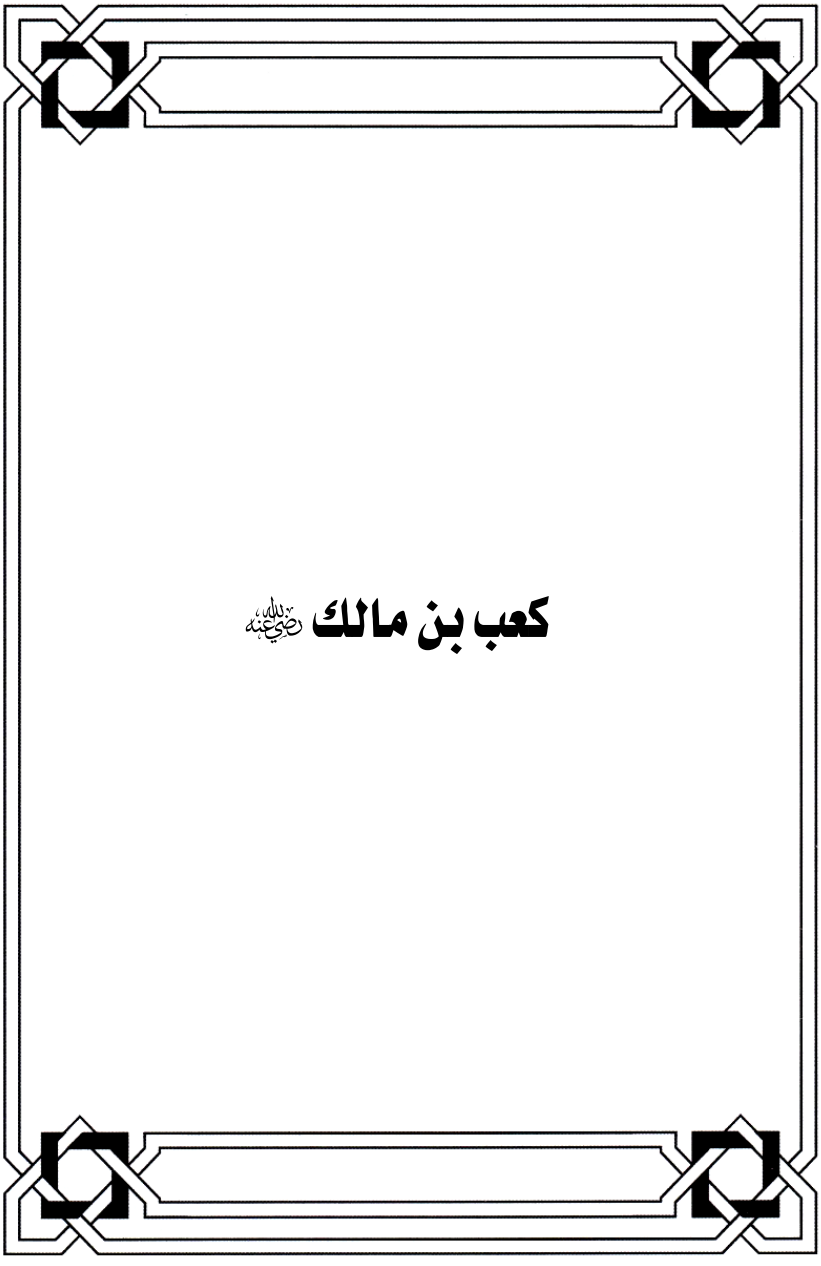

كعب بن مالك رضي الله عنه

كعب بن مالك ﷺ

ما أعظم صحابة النبيﷺ! وما أجلّ ما قدموه من خدمة لعقيدة الاسلام وشريعته وأخلاقه! إنّ ما قدموه في شتى مجالات الحياة لم يقدم مثله أحد. والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بعد جيل الصحابة وإلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، هم ثمرة من ثمرات تضحيات الصحابة وجهادهم في سبيل الله. ولم يكن ما قدموه عاد خيره على المسلمين وحدهم، بل عاد على البشرية كلها؛ فهم الذين أدخلوا التوحيد إلى العالم بعدما كاد يغيب في سيادة الوثنيات التي ضربت أطنابها في أرجاء الدنيا؛ لذلك جاء الثناء عليهم من رب العالمين في قرآنه المجيد في ما يقرب من ثلاثين موضعا منه.! وإذا أثنى الله على أحد فالثناء ثناؤه، وهل بعد ثناء الله ثناء؟! والصحابة –كلهم– مشمولون بهذا الثناء، ومنهم: كعب بن مالكﷺ، ذلك الذي قارع الكفر والشرك بسنانه وبيانه. وهذه مقتطفات من سيرة شاعر من شعراء النبيﷺ ورضي الله عنه، ترينا كيف يفعل الإيمان الحق فعله بصاحبه.

نسبه واسرته

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن كعب ابن سواد الأنصاري السلمي ثم الخزرجي، وهو يماني الأصل، عدناني النشأة، وكان الولد الوحيد لأبيه.

أما أبوه مالك بن أبي كعب، فكان شاعرا، وله آثاره ومواقفه في الحروب التي وقعت بين الأوس والخزرج قبل شروق دعوة الإسلام على الوجود. وعُرفت اسرته بالشعر، فكان عمّه (قيس بن أبي كعب) من الشعراء وممن شهد بدرا.

إسلامه

كان كعب من أوائل من انضوى تحت لواء الإسلام في المدينة المنورة. فما ان علم برسالة النبي محمدﷺ حتى سارع إلى الإيمان بها، وامتلأ قلبه حبا لله ولرسوله، وكان ممن بايع النبيﷺ بيعة العقبة الثانية، فقد كان واحدا من اثنين وسبعين رجلا وامرأتين وافوا رسول اللهﷺ، وبايعوه على الإيواء والنصرة والإسلام. وكان كعب يعتز بهذه البيعة كل الاعتزاز حتى قال:

(ولقد شهدت مع رسول اللهﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها)[1].

وعاد كعب بعد البيعة إلى المدينة داعيا إلى هذا الدين، وكان ممن صلى الجمعة في المدينة قبل أن يهاجر النبيﷺ إليها، وقد قال ولده عبد الرحمن بن كعب:

(كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت معه إلى الجمعة فسمع التأذين استغفر لابي أمامة أسعد بن زرارة ودعا له، فقلت له: يا أبت! ما شأنك إذا سمعت التأذين يوم الجمعة استغفرت لابي أمامة ودعوت له وصليت عليه؟ قال: أي بني، إنه كان أول من جمع بنا قبل قدوم رسول اللهﷺ في بقيع الخضمات في هزم بني بياضة، قال: وكم كنتم يومئذ؟ قال: كنا أربعين رجلا)[2].

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

آخى النبيﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وكان

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: حديث كعب بن مالك وقول الله تعالى [وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا]) حديث٤٤١٨، ص٧٤٩.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٤٨، حديث ٣٥٧٣٥ بعناية محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

كعب ممن شملته هذه المؤاخاة؛ فآخى النبيﷺ بينه وبين طلحة بن عبيد الله.

في صحبة النبيﷺ

أحب كعب نبي اللهﷺ من صميم قلبه، شأنه في ذلك شأن صحابة النبيﷺ كلهم، وزاد من حبه ملازمته للنبي في الحضر والسفر والسلم والحرب. ويكفينا أن نعلم أنّ كعبا لبس لأمة النبي وكانت صفراء في غزوة أحد، ولبس النبي لأمة كعب، وقد حرص كعب على ذلك لأنّ المشركين كانوا حريصين على قتل النبيﷺ، فأراد كعب أن يكون هدفا للمشركين بدل النبيﷺ، وهكذا كان؛ فانهالت على كعب الضربات من هنا وهناك، وهم يظنون أنّه رسول الله حتى جرح أحد عشر جرحا في هذه الغزوة.

جهاده في سبيل الله

كان كعب مطيعا لكل ما دعا إليه النبيﷺ، فجاهد في سبيل الله جهاد الأبطال، ولم يتخلف عن غزوات النبيﷺ إلا عن غزوتين اثنتين: غزوة بدر وغزوة تبوك.

في غزوة بدر

لم يخرج كعب مع النبيﷺ في غزوة بدر؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه خرج لأخذ عير قريش، وما كان يظن أحد من الصحابة أنهم يدخلون حربا حامية الوطيس مع قادة الشرك وأئمة الكفر، ولو علم الصحابة ذلك لما تخلّف أحد منهم، فكان من عظماء الأنصار من لم يخرج إلى بدر: كأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، وغيرهما، ولم يعاتب النبيﷺ واحدا ممن لم يخرج معه؛ فقد كان في الخروج وعدمه متسع.

وانطلق كعب مفتخرا بنصر المسلمين في بدر وراداً على ضرار بن الخطاب بن

مرداس فقال:

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يمَشُّون في الماذيِّ والنقعُ ثائر
فلما لقيناهم وكلٌ مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عرِّيَت بيضٌ خفاف كأنها ... مقابيسُ يزهيها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعا لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى ... وما منهم إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها ... وكل كفور في جهنم صائر
تلظى عليهم وهي قد شُب حَميُها ... بزبْرِ الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمّه الله زاجر[1]

في غزوة أحد

لما وقعت غزوة أحد، أبلى كعب وقومه من بني سلمة بلاءا حسنا، فجُرح

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٥-٢٥٦، طبعة دار صادر.

أحد عشر جرحا. ولما ندب النبيﷺ الصحابة لملاحقة المشركين في اليوم الثاني بعد المعركة لئلا يزدهي المشركون بنصرهم فيأخذهم الغرور، فيعاودوا الكرّة على المسلمين، وهذا ما فكروا به فعلا وعزموا عليه، لكنّهم خافوا أن ينقلب نصرهم إلى هزيمة فاكتفوا بما أحرزوه من نصر.! لذلك طلب النبي الكريم ملاحقة المشركين في اليوم الثاني..وأسرع الصحابة في ملاحقتهم حتى وصلوا إلى مكان يُسمّى (حمراء الأسد)، وهناك عسكر جيش النبيﷺ، ثم عادوا إلى المدينة لمّا عاد المشركون إلى مكة. وهذه الغزوة هي التي سُميت بـ(حمراء الأسد)، وقد تمثلت بطولة المسلمين فيها بصورة من أجمل الصور، ويكفينا أن نعلم أنّه (خرج من بني سلمة –قبيلة كعب– أربعون جريحا: بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا، وبخراش بن الصمة عشر جراحات، حتى وافوا رسول اللهﷺ؛ فقال لمّا رآهم: «اللهم ارحم بني سلمة»)[1]. وقد مر بنا أنّ كعب بن مالك أصابه أحد عشر جرحا في هذه الغزوة.

ولمّا افتخر المشركون بنصرهم الذي احرزوه على المسلمين، فكتب هبيرة بن أبي وهب قصيدته في ذلك، ردّ عليه كعب بقصيدة جاء فيها:

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتظلع[2]
تدلّى عليه الروح من عند ربه يُنزّلُ من جوّ السماء ويُرفع
نشاوره فيما نريد وقصـرنا إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٦٧، صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢، القاهرة.

(٢) لا نتظلع: أي لا نميل عنه.

وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ضحيا علينا البيض لا نتخشع[1]

تخلفه عن غزوة تبوك

دعا النبيﷺ إلى الغزوة المعروفة بغزوة تبوك، وسُميت بغزوة العسرة أيضا؛ للضيق الاقتصادي الذي عاناه المسلمون في غزوتهم تلك، وكانت في الصيف من السنة التاسعة من الهجرة. وتخلّف عن هذه الغزوة بضع وثمانون رجلا أكثرهم من المنافقين وضعاف الإيمان، وممن تخلّف ثلاثة رجال عُرفوا بقوة إيمانهم بالله، وكان أحدهم كعب بن مالك، والثاني: مرارة بن الربيع، والثالث: هلال بن أمية. فلمّا عاد النبي من الغزو وجاءه المخلفون يعتذرون فقبل النبي منهم علانيتهم واستغفر لهم، وجاء كعب فسأله النبيﷺ عن سبب تخلّفه فصدقه الحديث، وبيّن له أنّه لا عذر له وهو يرجو عفو الله؛ فقال النبيﷺ: «أمّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» ونهى المسلمين أن يكلموا واحدا من هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا النبي في حديثهم.! ولم يكن مرارة وهلال من ضعاف الإيمان، فقد عُرفا بعبادتهما وطاعتهما لله، ويكفيهما أنهما من أهل بدر الذين أثنى عليهم النبيﷺ، كما لم يكن كعب ضعيف الإيمان –أيضا– وحين نهى النبيﷺ عن الكلام معهم لم يكلمهم أحد.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٤٩-١٥٠ بتحقيق: السقا والأبياري وشلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ومع هذه المصيبة التي أُصيب بها كعب، تعرّض إلى فتنة: فقد أتاه كتاب من ملك غسان يقول له فيه: (فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك)[1]. فما كان من كعب إلا أن يمّم بالكتاب التنور فسجره بها، وعدّ ذلك من البلاء.!

وبعد مضي خمسين ليلة تاب الله عليهم، ونزل قوله تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ سورة التوبة.

وأقبل كعب إلى النبيﷺ! فلمّا سلم عليه قال له النبي: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»[2].

ونجد إيمان كعب يتجلى في هذه الصورة الرائعة من صور الإيمان الحق، فقد آلى على نفسه أن يعيش في ضنك من العيش مع إيمانه بالله واليوم الآخر، ورفض بإباء وشمم أن يعيش في القصور التي دعاه إليها ملك غسان.!

وكم كان فرح المسلمين عظيما بتوبة الله على كعب وأخويه مرارة وهلال، حتى إنّ أبا بكر الصديق سابق عمر بن الخطاب ليبشرا كعبا بتوبة الله عليه! وقد رقى أبو بكر (جبل سلع) وصاح: قد تاب الله على كعب بن مالك؛ يبشره.!

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: حديث كعب بن مالك) حديث ٤٤١٨، ص٧٥١.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: حديث كعب بن مالك) حديث ٤٤١٨، ص٧٥١.

إنّ كعبا لم يهتم بأمر كاهتمامه بأمرين: الأوّل: توبة الله عليه قبل أن يموت؛ لأنّه إن مات قبل توبة الله عليه، فربما لا يصلي عليه النبيﷺ، والثاني: كان يخشى أن يموت النبيﷺ، فيظل على حالته تلك فلا يكلمه أحد، وربما لا يصلي عليه أحد.!

وهكذا كان صدق كعب ومرارة وهلال سببا في توبة الله عليهم.! أمّا المنافقون، الذين كذبوا على النبيﷺ، فقد غضب الله عليهم، وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيرا.!

رثاؤه للنبي ﷺ

عظم الخطب لدى المسلمين بموت النبي ﷺ، فاشتد حزنهم على فراقه، ومنهم كعب بن مالك، فأنشد قصائد في رثائه ومنها:

وباكية حراء تحزن بالبكا وتلطم منها خدها والمقلدا
على هالك بعد النبي محمد ولو علمت لم تبك إلا محمدا
فجعنا بخير الناس حيا وميتا وأدناه من رب البرية مقعدا
وأفظعهم فقدا على كل مسلم وأعظمهم في الناس كلهم يدا
لقد ورثت أخلاقه المجد والغنى فلم تلقه إلا رشـــيدا ومرشـدا[1]

في عهد الخلفاء الراشدين

بعد أن انتقل النبيﷺ إلى جوار ربه، وأراد المسلمون تنصيب خليفة لهم كان كعب ممن حضر (سقيفة بني ساعدة) للتداول في أمر الخلافة. وظلّ على ما كان عليه من الإيمان العميق والارتباط الوثيق بإخوته من المهاجرين والأنصار.

---

(١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري للدكتور سامي مكي العاني،ص١٩٨ مطبعة المعارف، بغداد.

ويمضي الزمن، ويتولى عثمان بن عفان الخلافة، فيستعمله على صدقةِ مُزينة، وقد كان النبيﷺ استعمله من قبل في السنة التاسعة للهجرة على صدقات أسلم وغفار.

كعب يدافع عن عثمان في الفتنة

وقعت الفتنة التي أُسيء فيها إلى أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان إساءات بالغة انتهت بقتله وهو خليفة المسلمين.! ووقف كعب إلى جانبه، ودافع عنه في أشد الأوقات حراجة، وظلّ يدافع عنه حتى استشهد.

فلمّا قدم ستمائة راكب من مصر يريدون المدينة بصفة معتمرين في الظاهر، ويريدون الإنكار على سيدنا عثمان في حقيقة الأمر! وعلم عثمان بهم، فطلب من علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم. وخرج علي ومعه أشراف المدينة -ومنهم كعب بن مالك- فكلمهم علي وردهم، بعد أن أجابهم عن كل ما ينقمون عليه. لكنّ اولئك الغوغاء، عادوا مرة ثانية إلى المدينة، وحاصروا سيدنا عثمان في داره، وكان كعب ممن دافع عنه، وظلّ يدافع عنه مع عدد من الصحابة، إلى أن ناشدهم عثمان أن يغمدوا سيوفهم. وإلى هذا أشار كعب بن مالك بقوله:

وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

وظلّ كعب يدعو الأنصار إلى نصرة عثمان، فكان يقول: (يا معشر الأنصار، انصروا الله مرتين)[1].

وقد قتل يوم الدار حفيد كعب بن مالك، واسمه: عبد الله بن عبد الرحمن. وأبى القتلة أن يدفنوا عثمان.! ولم يجرؤ على حضور جنازته إلا علي بن أبي طالب،

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٣٨٣.

وطلحة بن عبيد الله، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك. وخشي الناس أن يدفنوه نهارا فدفنوه ليلا خفية.!! وقد رثاه كعب بقصيدة منها:

عجبت لـقوم أسلموا بعد عزهم ... إمامهم للمنكرات وللغدر
فلو أنهم سيموا من الضيم خطة ... لجاد لهم عثمان بالايدي والنصر
فما كان في دين الإله بخـائن ... ولا كان في الأقسام بالضيِّق الصدر
ولا كان نكاثا لعهد محمد ... ولا تاركا للحق في النهي والأمر
فإن أبكه أعذر لفقدي عدله ... وما بي عنه من عزاء ولا صبر
وهل لامرئ يبكي لعظم مصيبة ... لفقد ابن عفان الخليفة من عذر
فلم أرَ يوما كان أعظم فتنةً ... وأهتك منه للمحارم والستر
غداة أصيب المسلمون بخيرهـــم ... ومولاهم في حالة العسر واليسر[1]

الرسولﷺ يستمع إلى شعر كعب

وكان رسول اللهﷺ يستمع لما كان ينشده كعب من شعره، وبخاصة في السفر؛ ليستعين بذلك على قطع المسافات الطويلة. فبعد أن رجع النبيﷺ قافلا من حنين، وأجمع المسير إلى الطائف، قال كعب بن مالك:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمّ أَجْمَمنَا السّيُوفَا
نُخَيّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا[2]

(١) كتاب الشريعة للآجري ص٦٨٦-٦٨٧، الطبعة الرابعة ١٤٣٢-٢٠١١، مؤسسة الريان، بيروت، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، لأبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي ١/ ٢٣٤-٢٣٥، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، المكتبة الإسلامية، القاهرة، والنبلاء للكتاب، مراكش-المغرب.

(٢) أي نعطي للسيوف الخيرة في القتال، ولو نطقت السيوف لاختارت (دوسا) أو (ثقيفا).

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْكُمْ أُلُوفَا
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجّ وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ لَهَا مِمّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا[1].

ويروي عبد الرزاق في مصنفه أنّ النبيﷺ قال له: «لهنّ أسرعُ فيهم من وقع النبل»[2].

وصدق رسول اللهﷺ فإنّ (دوسا) لمّا سمعت ما قاله كعب قالت:

(انطلقوا، فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف)[3].

وروى ابن سيرين أنّ النبيﷺ أتى كعب بن مالك على جمل قد شنق له بلغ رأس المَوْرك[4]، فقال: أين هو –يريد كعب بن مالك– فجاء من خلفه فقال: هيه. فأنشده فقال: لهو أشد عليهم من وقع النبل[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ النبيﷺ قال لكعب بن مالك:

(ما نسي ربك –وما كان ربك نسيا– بيتا قلتَه. قال: ما هو؟ قال أنشده يا أبا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٣٠-١٣١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ١١/ ٢٦٤ بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣-١٩٨٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٣٨٢.

(٤) أي أنّ النبي جذب رأس الجمل إليه ليكفها عن السير.

(٥) الطبقات الكبير لابن سعد ٤/ ٣٩٥ بتحقيق الدكتور: علي محمد عمر، الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠١، طبعة الخانجي، القاهرة.

بكر، فقال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبــن مغالب الغــلاب[1]

ويُروى أنّ النبيﷺ قال لكعب بعد أن قال كعب هذا البيت:

«لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا»[2].

كعب بن مالك من شعراء الرسولﷺ

لّما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، إلى رسول اللهﷺ وهم يبكون؛ فقالوا: قد علم الله أنّا شعراء؛ فتلا عليهم النبيﷺ قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾سورة الشعراء[3].

وروى عبد الرحمن بن كعب عن أبيه: أنّه قال للنبيﷺ: إنّ الله قد أنزل في الشعر ما أنزل قال:

«إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما يرمون فيهم به نضح النبل»[4].

وكم كان فرح كعب ومن معه بذلك؛ ليستخدم ما كان معه من شعر يجاهد

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٠/ ١٩٠-١٩١.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٣٨٣.

(٣) تفسير الطبري لمحمد بن جرير الطبري، هذبه وقرّبه الدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ٥/ ٦٨٤، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

(٤) أخرجه عبد االرزاق في مصنفه، حديث ٢٠٥٠٠ وهو صحيح الإسناد، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٢٥.

به المشركين كما يجاهدهم بحد سنانه، وقد كان كعب شاعرا في الجاهلية فلمّا أنعم الله عليه بنعمة الإسلام دافع عن الإسلام بسيفه وبيانه، وكان من الشعراء الذين لهم مكانة مرموقة في الشعر حتى قيل: اشجع بيت وصف به شاعر قومه قول كعب بن مالك:

نصل السيوفَ إذا قَصُرْن بخطونا قِدْماً ونُلْحِقهـا إذا لـم تَلْحَقِ[1]

ويغلب على شعر كعب ذكره لمآثر قومه، ورده على من يقف بوجه دعوة الإسلام، وقد خلا من الخمريات والغزل والمجون والتهتك، وطرق في شعره عددا من الأغراض منها: المديح والهجاء والفخر والرثاء ومناقضته الشعراء الذين اساءوا إلى النبيﷺ وإلى دعوة الإسلام، وكل غرض من هذه الأغراض قد التزم فيها بما دعا إليه القرآن الكريم من خلق نبيل، وما دعا إليه الرسولﷺ من أدب جليل: فلم يقل في شعره غير الحق والصدق، ولم يكن شتاما في هجائه، ولم يكن فخره إلا بعظمة هذا الدين وبقومه، ولم يكن رثاؤه إلا في العظماء من الرجال: كالنبيﷺ، ومن استشهد من الصحابة وبخاصة عثمان بن عفانرضي الله عنه.

نماذج من شعر كعب

قالرضي الله عنه في رثائه عثمان بن عفان:

فكَفَّ يديه ثم أغلقَ بابه وأيقن أنّ الله ليس بغافل
وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهم الـ عداوة والبغضاء بعد التواصل

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٦/ ٢٤٩، شرحه وكتب هوامشه: عبد أ. علي مهنا، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم ... وولى كإدبار النعام الجوافل[1]

وقال كعب في غزوة بني النضير:

لقد خزيت بغدرتها الحبور[2] ... كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب ... عظيم أمره أمر كبير
أرى الله النبي برأي صدق ... وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير
فذاقوا غبَّ أمرهم وبالا ... لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع ... وغودر منهم نخل ودور[3]

وقال وهو يذكر وقعة الأحزاب:

لقد علم الاحزاب حين تألبوا ... علينا وراموا ديننا ما نوادع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راءٍ وسامع
إذا غايظونا في مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائع

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٠/ ١٧٨.

(٢) الحبور: هم علماء اليهود، فقد غدرت اليهود بالنبي، وأرادت قتله بإلقاء صخرة عليه من البيت الذي كان جالسا في ظله لمّا جاء النبي إليهم، يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٨٤-٨٥.، وثقه وقابل مخطوطاته الشيخ: علي محمد معوض والشيخ: عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية بيروت.

هدانا لدين الحق واختـــاره لنا ولله فوق الصـــانعين صنـائع[1]

موقفه من الخلاف بين علي ومعاوية

اعتزل كعب الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، شأنه في ذلك شأن أكثر صحابة النبيﷺ ورضي الله عنهم.

وفاته

اختلف في سنة وفاته. والذي رجحه أكثر العلماء أنّه توفي سنة خمسين من الهجرة في المدينة المنورة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وعمره سبع وسبعون سنة، بعد أن فقد بصره، وروى عن النبيﷺ ثلاثين حديثا، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث واحد، ومسلم بحديثين[2].

رضي الله عن شاعر النبي كعب بن مالك، وعن صحابة النبي أجمعين! فقد جاهد بلسانه كما جاهد بسنانه، وأنزل الله فيه وفي أخويه مرارة وهلال آيات تظل تتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.!

(١) البداية والنهاية ٤/ ١٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٥٢٣، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٢-٢٠٠١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

عبد الله بن رواحة ﷺ

الحياة مع الصحابة في سيرتهم لون من ألوان التربية الهادفة، تترك آثارها الطيبة في مستقبل القارئ لها وبخاصة إذا كان حاضرَ القلب، منعمَ النظر فيما يقرأ. وهناك من الصحابة من لمعت صورته أكثر من غيره كعبد الله بن رواحةﷺ، ذلك الصحابي (المتفكر عند نزول الآيات، والمتصبر عند تناول الرايات)، وقد استشهد بالبلقاء، زاهداً في البقاء، راغباً في اللقاء[1]. وما أحوج جيلنا المعاصر إلى التأمّل بسيرة ابن رواحة وبغيره من الصحابة؛ ليعرف السعادة الحقيقية كيف تكون.

نحن الآن أمام سيرة شاعر وقائد وكاتب للوحي، أنهى حياته بالشهادة في سبيل الله. وسيرته هذه أُنموذج من نماذج الصحابة الذين مات النبيﷺ وهو عنهم راض.

إسمه ونسبه وأسرته

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأكبر الخزرجي الأنصاري، يُكنى بأبي محمد أو بأبي رواحة، ولعلّه يُكنّى بهما جميعا، وليس له عقب، وهو خال الصحابي النعمان بن بشير. نشأ في أسرة كريمة، ونسبه من أشرف أنساب الخزرج، عُرف بالقيادة والريادة والفروسية والتضحية، وانتقلت مكارم الأجداد إلى الأحفاد، فكان ابن رواحة من تلك الدوحة السامقة، له المكانة المرموقة في قومه في الجاهلية والإسلام، فتعلم القراءة والكتابة منذ صغره في مجتمع قلّ فيه

(١) حلية الأولياء ١/ ١٦٤، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٧-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

من يقرأ ويكتب، وكانت له موهبة في قول الشعر منذ صغره.

إسلامه

ترك سفير رسول اللهﷺ مصعب بن عمير أثرا كبيرا في المدينة، وكان ابن رواحة ثمرة من ثمراته. وهو واحد من اثنين وسبعين ممن بايعوا النبيﷺ بيعة العقبة، وطلب النبيﷺ أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا، فكان عبد الله أحدهم، ورجع القوم إلى المدينة ينشرون دين الله فيها، ويمهدون لهجرة النبيﷺ إليها.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

بعد أن هاجر النبيﷺ من مكة إلى المدينة هجرته الميمونة المباركة آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان عبد الله بن رواحة ممن شملته هذه المؤاخاة، فآخى النبي بينه وبين المقداد بن عمرو.

ابن رواحة من كتّاب الوحي

كان النبيﷺ يثق بعدالة كل واحد من صحابته؛ لأنّ آيات القرآن نزلت تترى في الثناء عليهم. وعلم صلوات الله وسلامه عليه معدن الصحابة وما كانوا عليه من إخلاص لله ولرسوله وجهاد في سبيل الله لنشر دين الله؛ فأثنى عليهم أيضا.! لذلك قرر العلماء أنّ صحابة النبيﷺ عدول كلهم. والمراد بعدالتهم: صدقهم في كل ما يروون عنهﷺ من غير بحث في أسباب تلك العدالة؛ لأنّ الله تعالى هو الذي زكاهم، وجاءت التزكية –أيضا– من رسول اللهﷺ. وكتّاب الوحي هم من الصحابة، ومن كتّاب الوحي هؤلاء: عبد الله بن رواحةﷺ.

ونقرأ سيرة هذا الصحابي الجليل، فنراه منذ صغره قد تعلم القراءة والكتابة في مجتمع لم يكن فيه من يحسن ذلك إلا قليل. فلمّا هاجر النبيﷺ إلى المدينة، كان

ابن رواحة ممن يكتب له الوحي، ومعه عدد من الكتاب من أجلّاء الصحابة بلغوا ستة وعشرين كاتبا من المهاجرين والأنصار، وهناك من أوصلهم إلى أربعين كاتبا[1].

ابن رواحة وتشريع الجهاد

لمّا شرع الله الجهاد في السنة الثانية للهجرة، كان ابن رواحة أوّل الخارجين له وآخر القادمين منه. وقد اشترك في غزوات النبيﷺ، فشهد بدرا وأُحدا والحديبية، وخيبر وعمرة القضاء، ولم يشهد فتح مكة وما جاء بعده؛ لأنّه كان قد استشهد في (غزوة مؤتة).

في غزوة بدر

علم النبيﷺ بقافلة عائدة من الشام إلى مكة يقودها (أبو سفيان)، فندب

---

(١) حين كانت الآية أو الآيات تتنزّل على النبيﷺ، يدعو النبي الكريم مَنْ كان عنده أو قريبا منه من كتّاب الوحي فيكتب ما نزل عليه من آيات، ويرشدهم إلى موضعها من السورة فيقول: ضعوا الآية الفلانية في السورة الفلانية بعد الآية الفلانية. وقد كتبت الآيات والسور على العسب واللخاف والرقاع وعظام الأضلاع والأكتاف في حياة النبيﷺ وبأمره، وكان يأمر بكتابة الآيات وقت نزولها، وكان ما يكتب من آيات يوضع في بيت النبيﷺ. وتوفي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والقرآن محفوظ في صدور الصحابة، ومكتوب في الرقاع ونحوها. وقد جُمع القرآن في حياة النبيﷺ بين حفظ الصدور، والمكتوب في السطور، والله تعالى هو الذي تكفّل بحفظه، ونصّ على ذلك في آية كريمة تتلى آناء الليل وأطراف النهار فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الحجر . ورتبت الآيات بترتيب النبيﷺ وليس اجتهادا. وظلّ القرآن كما كان في عهد النبيﷺ بكلماته وحروفه من غير زيادة ولا نقصان: فلم يحذف منه شيء. وقد أجمع العلماء على ذلك. فمن زعم أنّ القرآن الذي بأيدينا الآن حُذفت منه آية أو آيات، يُعدُّ مرتدا عن الإسلام، وتجري عليه أحكام المرتد. وقد وصلنا القرآن الكريم بالسند الصحيح المتصل إلى رسول اللهﷺ، فأخذه الصحابة منه، ثمّ بلّغوه للتابعين. وهكذا إلى أن وصل إلينا.

المسلمين للخروج لها؛ لعلّ الله يجعلها نافلة لهم.! فعل النبي صلوات الله وسلامه عليه هذا؛ لعلّ قريشا تعقد مع النبي عقدا توادعه فيه: فلا تضطهد من يريد الدخول في الإسلام، مقابل أن يؤمّن النبيﷺ طريق قريش إلى الشام ذهابا وإيابا؛ لأنّ تجارة قريش كانت الدم الذي يجري في عروقها، فخرج مَنْ خرج من المسلمين مع النبي الكريم لأخذ عير قريش، لكنّ الله سبحانه أراد أن يحقق للمسلمين ما هو أفضل بكثير من القافلة: أراد أن يعزّ دينه ويرفع كلمته؛ فنجت القافلة، ولكن وقع القتال بين جبهة الإيمان وجبهة الكفر والشرك..!

وتتقدم كتائب الكفر والشرك بطغيانها وجبروتها وهي تفوق المسلمين عددا وعدة، وتأبى إلا أن تنازل المسلمين بمعركة حامية الوطيس.! وهنا يتجه النبيﷺ بكليته إلى الله، داعيا منه –وحده– أن ينصر عباده المؤمنين، فكان كثير التضرّع إلى الله والدعاء منه أن ينصر المسلمين ويخذل الكافرين. وينظر عبد الله بن رواحةرضي الله عنه إلى كثرة مناشدة النبي ربَّه بالنصر فيخاطبه قائلا: (يا رسول الله، إنّي أُشير عليك –ورسول الله أعظم وأعلم بالله من أن يُشار عليه– إنّ الله أجل وأعظم من أن ينشد وعده، فقال رسول اللهﷺ: «يا ابن رواحة، ألا أنشد الله وعده؟ إنّ الله لا يخلف الميعاد»)[1].

وكان القتال في الجاهلية وصدر الإسلام كثيرا ما يبدأ بالمبارزة. ولمّا تقابل الجمعان طلب (عتبة)، و(شيبة بن ربيعة)، و(الوليد بن عتبة) إلى المبارزة، فخرج ثلاثة من الأنصار هم: عوف ومعوّذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة. وحين

(١) امتاع الاسماع للمقريزي ١/ ١٠٣ بتحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى ١٤٢٠-١٩٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

علموا أنّ هؤلاء من الأنصار، طلبوا من النبي أن يُخرج لهم أكفاءهم من قومهم؛ فأخرج النبيﷺ لهم عمّه حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب، والتقى الجمعان، ووقع القتال، وانتصر المسلمون ذلك الانتصار الباهر.!! والذي نريد ذكره هنا: هو شجاعة عبد الله بن رواحة، فقد خرج ليبارز أئمة الكفر والشرك والضلال من أهل مكة..ولّما انتهت المعركة لعباده المؤمنين، أرسل النبيﷺ (عبد الله بن رواحة) و(زيد بن حارثة) إلى المدينة يبشران أهلها بنصر الله المبين.

وسار الصحابيان وأسرعا المسير، وحين وصلا إلى المدينة، أخذ ابن رواحة ينادي على راحلته:

(يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول اللهﷺ وقتل المشركين وأسرهم)[1]، وصار يعدد أسماء قسم من قتلى المشركين وأسراهم...!

وكم كان فرح أهل المدينة كبيرا بذلك النصر؛ فخرج من خرج يتلقون النبيﷺ بالدفوف وهم ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

واستشار النبيﷺ الصحابة في الأسرى: ماذا يصدر فيهم من حكم؟ ويروي لنا الصحابي عبد الله بن مسعودرضي الله عنه الآراء التي قيلت للنبي بأمر الأسرى فيقول:

---

(١) كتاب المغازي للواقدي ١/ ١١٣، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

(لّما كان يوم بدر قال رسول اللهﷺ «ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟» قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستتبهم، لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك، وكذبوك، فقدمهم فاضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، أنت في واد كثير الحطب، فأضرم الوادي عليهم نارًا، ثم ألقهم فيها)[1].

ولا يبعد رأي ابن رواحة عن رأي عمر كثيرا، ولكن ورد النهي عن التعذيب بالنار فقالﷺ: «لا يعذّب بالنار إلا ربّ النار»[2].

ومال النبيﷺ إلى رأي أبي بكر بأخذ الفداء من الأسرى، ونزل عتاب الله لرسوله في ذلك، قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾ سورة الأنفال.

في غزوة أحد

أبلى ابن رواحة بلاءاً حسنا في غزوة أُحد، وقاتل قتال الأبطال، وحقق المسلمون فيها نصرا في الجولة الأولى منها، ولكن دارت الدائرة على المسلمين في الجولة الثانية من المعركة لّما ترك أربعون من الرماة الذين كانوا على الجبل أماكنهم ليأخذوا من الغنيمة؛ لظنّهم أنّ المعركة حُسمت لصالحهم، فانقضّ

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٠٧ تهذيب وترتيب الدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الفاروق، عمّان.

(٢) رواه أبو داؤد في كتاب الجهاد (باب: كراهية حرق العدو بالنار) حديث ٢٦٧٣، ص٤٧٠.

المشركون على العشرة الباقية على الجبل فقتلوهم، ثم انحدروا من خلفهم على المسلمين يعملون سيوفهم فيهم، فوقعت الكارثة على المسلمين، وزاد من وقعها قتل سبعين واحداً من الصحابة، منهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلبﷺ، وقد مثّل به المشركون أشنع تمثيل. فبقر بطنه عن كبده، وجدع أنفه وأذناه. وعاد النبيﷺ إلى المدينة، ومرّ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنواح، فذرفت عيناه فبكى ثم قال: «لكنّ حمزة لا بواكي له»، وجاءت نساء بني عبد الأشهل وظفر يبكين حمزة على باب مسجده. وجاء ابن رواحة بنساء بني الحارث بن الخزرج. وسمع النبي بكاءهنّ فقال: «ارجعن فقد آسيتنّ بأنفسكنّ» وأمرهنّ أن يعدن إلى منازلهنّ بعد أن دعا لهنّ، ونهاهنّ الغد عن النوح أشدّ النهي[1]، وقال لابن رواحة: «ما أردت هذا» ونهى عن النوح. ورثى ابن رواحة عمّ النبيﷺ حمزة فقال:

بكَــتْ عَيْنِي وَحقّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغِنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
عَــلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَـدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذَاكُمْ الرّجُلُ الْقَتِيلُ
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرّسُولُ
أَبَا يَعْلى لَك الْأَرْكَانُ هُدّتْ ... وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرّ الْوَصُولُ[2]
عَلَيْك سَلَامُ رَبّك فِي جِنَــانٍ ... مُخَالطُهَـا نَعيمٌ لَا يَـزُولُ[3]

(١) كتاب المغازي للواقدي ١/ ٢٧٠.

(٢) أبو يعلى: كنية حمزة بن عبد المطلبﷺ.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٠ بتحقيق: السقا والأبياري وشلبي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابن رواحة أمير للمدينة المنورة

لّما انصرف أبو سفيان من غزوة أحد نادى: (موعد بيننا وبينكم بدر الصفراء، رأس الحول، نلتقي فيه فنقتتل). سمع النبي ما قاله أبو سفيان فأمر عمر بن الخطاب أن يجيبه بقوله: (نعم إن شاء الله).!

وتسمّى هذه الغزوة بغزوة بدر الموعد، كما تُسمّى أيضا ببدر الصغرى، فقد خرج النبيﷺ ومعه ألف وخمسمائة من الصحابة لموعد أبي سفيان، على الرغم من تخذيل الناس للمسلمين، وتخويفهم من كثرة ما جمعوا لهم من جموع. وخرج المسلمون وقالوا: (إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا له، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. وكان بدر متجرا يوافى في كل عام. فانطلقوا، حتى أتوا موسم بدر، فقضوا منه حاجتهم، وأخلف أبو سفيان الموعد، فلم يخرج هو ولا أصحابه)[1].

نعم، لم يصل أبو سفيان إلى (بدر)، بل وصل إلى (مجنّة) من ناحية الظهران فنزل بها، ثم رجع، ورجع الناس معه. وكان النبيﷺ حين خرج قد استخلف عبد الله بن رواحة أميرا على المدينة المنورة[2].

وأقام المسلمون هناك ثمانية أيام، وقيل: ست عشرة ليلة، باعوا بضائعهم، وربح الدرهم درهما، ثم عادوا إلى المدينة. وقال ابن رواحة لّما أخلف ابو سفيان الموعد في هذه الغزوة:

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ١/ ١٦٢-١٦٣، حققه الدكتور: بشار عوّاد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٢) كتاب المغازي للواقدي ١/ ٣٢٤.

على أنّ هناك من كتّاب السير من ذهب إلى أنّ النبيﷺ استخلف: عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الصحابي الجليل ابن رأس المنافقين.

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ ... لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتنا ... لَأُبْتَ ذَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُـتْبَةَ وَابْنَهُ ... وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ أُفّ لِدِينِكُمْ ... وَأَمْرِكُم السّيْءِ الّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنّي وَإِنْ عَنّفْتُمُونِي لَقَائِلٌ ... فِدًى لِرَسُولِ اللهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَـاهُ لَمْ نَعْدِلْـهُ فِينـا بِغَيْرِهِ ... شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللّيْلِ هَادِيَا[1].

في غزوة الخندق

قام اليهود بدور لئيم في تأليب قبائل عربية ضد دولة الإسلام الفتية في المدينة المنورة، فقد استنفروهم لحرب النبيﷺ وقرر عدد كثير من القبائل غزو المسلمين في المدينة المنورة، ويسمع النبيﷺ بما عزم عليه هؤلاء، فيقوم مع صحابته بحفر خندق حول المدينة باقتراح من سلمان الفارسيرضي الله عنه، وهو أسلوب في الحرب لم تعرفه العرب آنذاك، وقد عمل الصحابة كلهم عملا دائبا مضنيا في الحفر ونقل التراب، ومنهم عبد الله بن رواحة، وقد كان كثير التشجيع للمسلمين وهم يقومون بالحفر، وقد ارتجز أبياتا، فصار المسلمون يرددونها، حتى إنّ النبيﷺ كان يرددها أيضا، وهذه الأبيات هي:

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فـأنزلنْ سكينة علينا ... وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الـذين قد بغـوا علينا ... إذا أرادوا فتنـة أبينـا

وكان رسول اللهﷺ يرفع صوته ويقول: «أبينا، أبينا».

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٣، وذكر أنّ هذه الأبيات لابن رواحة أو لكعب بن مالك.

وجاءت الأحزاب بقضها وقضيضها، لتغزو المدينة.! وفي هذه الحالة التي بلغت حراجة المسلمين فيها مبلغها، نقض بنو قريظة عهدهم مع رسول اللهﷺ، وانضموا إلى الأحزاب، فصار المسلمون يواجهون عدوين: عدوا خارجيا متمثلا بالأحزاب، وعدوا من داخل المدينة هم بنو قريظة. ولّما وصلت الأحزاب، فوجئت بالخندق حول المدينة. وبدأت المناوشات بالسهام بين الأحزاب والمسلمين، لكنّ اللهﷻ ردّ كيدهم، كما قال تعالى:

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

ولم يُقتل من الطرفين سوى اثني عشر رجلا.

معجزة للنبيﷺ

في هذه الغزوة وقعت معجزة للنبيﷺ يحسن ذكرها هنا: قال ابن هشام:

(إن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعتني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت أي بنية. اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول اللهﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال تعالَيْ يا بنية ما هذا معك؟ قالت فقلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله ابن رواحة يتغديانه قال هاتيه قالت فصببته في كفَّيْ رسول اللهﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء. فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف

الثوب)[1].

ولم تكن هذه هي المعجزة الوحيدة التي حدثت لرسول اللهﷺ في هذه الغزوة بل هناك معجزتان أخريان ذكرهما جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: الأولى في تكثير الماء لمّا قلّ فيهم، والثانية: في تكثير الطعام ببركة النبيﷺ[2].

سرية اميرها ابن رواحة

كل من يقرأ تاريخ اليهود، يجد أنّ غدرهم بالمسلمين كان سجية من سجاياهم، وطبيعة من طبائعهم، لا ينفكون عنها: فلا تنقطع مكايدهم ومؤامراتهم ضد رسول اللهﷺ ومن معه. وقد بيّن الله تعالى هذا في القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[3] سورة البقرة.

وكم أحسن النبيﷺ إليهم، لكنّهم أبوا إلا الإساءة إليه، ونقض العهود معه. فلابد -والحالة هذه- من إيقافهم عند حدهم، وإلا كانت خسارة المسلمين كبيرة كبيرة. يقول ابن سعد:

(لما قُتِلَ أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمَّرتْ يهود عليهم أسير بن زارم فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول اللهﷺ، وبلغ ذلك رسول اللهﷺ، فوجه

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤١.

(٢) ينظر في هاتين المعجزتين: سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٠-٢٤٢.

(٣) قال الحسن البصري: (نَعَم، ليس في الأرض عَهْدٌ يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم، وينقضون غدًا). ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٥.

عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا فسأل عن خبره وغرته فأخبر بذلك، فقدم على رسول اللهﷺ، فأخبره فندب رسول اللهﷺ، الناس فانتدب له ثلاثون رجلا، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؟ وقالوا نعم؛ فقلنا: إن رسول اللهﷺ، بعثنا إليك؛ لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كنا بقرقرة ثبار ندم أسير فقال: عبد الله بن أنيس، وكان في السرية: وأهوى بيده إلى سيفي ففطنت له ودفعت بعيري وقلت: غدرا أي عدو الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه وسقط عن بعيره وبيده مخرش من شوحط فضربني فشجني مأمومة، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا إلى رسول اللهﷺ، فحدثناه الحديث فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين)[1].

في غزوة مؤتة

أرسل النبيﷺ عددا من الصحابة برسائل لعدد من الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، وقد قام أولئك الملوك والأمراء بإكرام الرسل إلا ما كان من (شرحبيل بن عمرو الغساني) أحد عمال الروم على الشام. فقد سأل شرحبيل الحارث بن عمير الأسدي –رسول النبي– لمّا نزل إلى (مؤتة): أين تريد؟

(١) الطبقات الكبير لابن سعد ٢/ ٨٨-٨٩.

قال: الشام.

قال: لعلّك من رسل محمد؟

قال: نعم. فقتله ولم يُقتل لرسول الله رسول غيره. فلمّا علم النبي الخبر، جهّز جيشا جعل أميره زيد بن حارثة، فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فإن أُصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أُصيب، فليرتض المسلمون رجلا فليجعلوه عليهم.!

وحين بدأ الجيش بالمسير، ودعهم المسلمون بهذا الدعاء: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردّكم إلى أهليكم.!

ويسمع ابن رواحة دعاءهم المنبعث من أعماقهم، لكنّه يتمنى شيئا آخر..يتمنى الشهادة في سبيل الله؛ فأنشأ يقول:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع[1] تقذف الزبدا[2]

أو طعنة بيدي حران[3] مجهزة[4] ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وقبل البدء بالمسير أتى ابن رواحة رسول اللهﷺ فودعه وقال:

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة ... الله يعلم أنْ ما خانني الخبر

---

(١) وضربة ذات فرع: أي ضربة شديدة.

(٢) تقذف الزبدا: أي تقذف الدم قذفا شديدا.

(٣) حران: متعطش للدماء.

(٤) مجهزة: أي مميتة.

أنت الـرسول فمن يحـرم نوافله والوجه منه . فقـد أزرى به القــدر

سار جيش النبيﷺ حتى وصل الى (معان) في الاردن وهناك علموا بحقيقة الجموع التي جمعها لهم ملك الروم: فقد أعدّ لهم مائة ألف من الروم، ومعهم مائة ألف اخرى من نصارى العرب. أما جيش النبيﷺ، فكان تعداده ثلاثة آلاف مجاهد. وظل المسلمون في (معان) ليلتين يتشاورون بينهم فيما يصنعون، ويوازنون بين عددهم وعدتهم، وعدد الروم وعدتهم.!! واقترح منهم ان يكتبوا للنبيﷺ ليخبروه بالموقف: فإما أن يمدهم بمدد، او يأمرهم بأمره.. لكن ابن رواحة قطع عليهم ما أرادوه؛ فقال لهم:

(يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة. قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة)[1].

وهكذا أزمع جيش النبيﷺ على خوض الحرب. فلما وصل الجيش إلى حدود (البلقاء) لقيتهم جموع الروم، وانحاز المسلمون إلى قرية (مؤتة)، ووقع القتال هناك: فقاتل زيد حتى قُتل، وتسلّم الإمارة بعده جعفر بن أبي طالب أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقاتل، ثم اقتحم عن فرسه فعقرها خشية أن يأخذها العدو، وقاتل وهو يقول:

يا حبـذا الجنة واقـترابهـا طيبــة وبـاردا شرابهــا

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٢٢.

والروم روم قد دنا عذابها كافــرة بعيدة أنسابهـــا

عليّ إن لاقيتها ضرابها

وظلّ رضي الله عنه يقاتل حتى قُطعت يمينه؛ فتناول الراية بشماله، فلمّا قُطعت شماله احتضن الراية بعضديه وظلّ كذلك حتى قُتل.!

وتسلّم ابن رواحة الإمارة، فنزل إلى ساحة القتال وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنّه لتنزلنـــّه أو لتكرهنـــّه

إن أجلب الناس وشدوا الرنّة ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طال مـا قد كنت مطمئنـة هل أنت إلا نطفـــة في شنـة

وقال أيضا:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تـمنيت فقد أعطيت إن تفعـــلي فعلهما هديت[1]

ولمّا أقبل ابن رواحة على القتال (أتاه ابن عمّ له بعرق من لحم[2]؛ فقال: شُـدّ بهذا صلبك؛ فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت؛ فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة[3] في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل)[4].

---

(١) (إن تفعلي فعلهما): أي فعل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب في الشهادة.

(٢) أي بعظم عليه بعض اللحم.

(٣) زحام الناس إذا حطم بعضهم بعضا.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٧.

وهكذا انتهت حياة هذا الصحابي الذي وقّفَ نفسه لنصرة الإسلام، فظلّ يجاهد بسنانه ولسانه حتى استشهد وهو حامل لواء النبيﷺ.

لقد كان من أمنيات ابن رواحةرضي الله عنه: أن يُضرب بسيف، أو يُطعن برمح لينال الشهادة:

حتى يُقال إذا مرّوا على جدثي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وقد تحقق ذلك، فعلّم ابن رواحة المسلمين كيف يكون الجهاد في سبيل الله؛ فسال دمه الطاهر الذي امتزج بحبّ الله وحبّ رسوله في أرض الجهاد.

ولايظنّ أحد أنّ اللواء سقط باستشهاد ابن رواحة، فقد أخذه واحد من فرسان المسلمين يُدعى (ثابت بن أقرم)، وطلب من المسلمين أن يختاروا رجلا منهم؛ فاختاروا خالد بن الوليد؛ فاستطاع بحنكته العسكرية أن يخدع الأعداء وينقذ الجيش، ولم يستشهد من المسلمين إلا اثني عشر رجلا. وفي هذه الغزوة سمّى النبيﷺ خالدا بسيف الله.

رضي الله عنك يا شاعر النبي، ويا أيها البطل الشهيد، ويكفيك فضلا أنّ النبيﷺ انتقل إلى جوار ربّه وهو راض عنك.!.

من مناقبه

مناقب عبد الله بن رواحة كثيرة، نقتصر على جزء منها:

١- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن عبد الله بن رواحة أتى النبيﷺ وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: «اجلسوا»؛ فجلس مكانه خارج المسجد، حتى فرغ من خطبته. فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: «زادك الله حرصا على طواعية الله

ورسوله»[1].

٢- قالت زوجة عبد الله بن رواحة متحدثة عن زوجها: (كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك)[2].

٣- عن أبي الدرداءﷺ قال: (خرجنا مع النبيﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبيﷺ وابن رواحة)[3].

٤- عن أنس بن مالكﷺ قال: دخل النبيﷺ مكة في عمرة القضاء، وابن رواحة بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيـــل الهـام عن مقيله ويذهـــل الخليـل عن خليلـه

فقال له عمر: يا ابن رواحة، في حرم الله، وبين يدي رسول الله تقول هذا الشعر؟ فقال رسول اللهﷺ: «خل عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل»[4].

٥- من أحسن ما قيل من الشعر في مدح النبيﷺ قول ابن رواحة:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦/ ١٤٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم (باب: ٣٥) حديث ١٩٤٥، ص٣١٣.

(٤) رواه أبو يعلى في مسند أنس بن مالك، حدث ٣٤٢٧، ٣/ ٢٢١، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت، والترمذي في كتاب الأدب (باب: ما جاء أنّ من الشعر حكمة) حديث ٢٨٤٧، ص٦٤٠، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٥.

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر[1]

٦- كان النبيﷺ يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود. فجمعوا حليا من نسائهم فقالوا: هذا لك وخفف عنا. قال: يا معشر يهود ! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، والرشوة سحت. فقالوا: بهذا قامت السماء والارض)[2].

وكانت اليهود إذا قالوا له في الخرص تعديت علينا، قال: (إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا، فتقول يهود بهذا قامت السموات والأرض)[3].

٧- بكى عبدالله بن رواحة لّما وُدِّع ليسير إلى مؤتة، فقيل له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: (أما والله، ما بي حب الدنيا ولاصبابة بكم، ولكنّي سمعت رسول اللهﷺ يقرأ آية في كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ سورة مريم. فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم الينا صالحين)[4].

٨- قال أبو الدرداء: (أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم، لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثديي، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفي

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٧، الطبعة الثانية ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت، والإصابة ٦/ ١٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/ ٣٨٥.

(٤) فرسان النهار جمع وترتيب الدكتور: سيد بن حسين العفاني، ٣/ ٢٨٥-٢٨٦، الطبعة الرابعة، دار العفاني، القاهرة.

ثم يقول: يا عويمر، اجلس فلنؤمن ساعة. فنجلس، فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عويمر، هذه مجالس الإيمان)[1].

٩- كانﷺ أول خارج إلى الغزوات وآخر قادم[2]، وكان يقول: (لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت)[3].

١٠- مرض عبد الله بن رواحة وأغمي عليه، فأتاه النبيﷺ فقال: «اللهم إنْ كان قد حضر أجله فيسّر عليه، وإنْ لم يكن حضر أجله فاشفه» فوجد ابن رواحة خفة فقال: يا رسول الله، أمي[4] تقول: واجبلاه، واظهراه، وملك قد رفع مرزبة من حديد ويقول: أنت كذا؟ فلو قلت نعم لقمعني بها[5].

١١- عن عروة بن الزبير أنّ أسامة بن زيد أخبره: أن النبيﷺ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فَدَكِيَّةٍ، وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر؛ فسار، حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله، وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيتِ المجلسَ عجاجة الدابة، خمَّرَ عبد الله بن أُبيّ أنفه بردائه، قال: لا تُغبّروا علينا؛ فسلَّمَ النبيﷺ ووقف، ونزَل فدعاهم إلى

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٥٩٣، بتحقيق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثالثة ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المعرفة، بيروت.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، ١/ ٢٩٠، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٨/ ٨٨.

(٤) الصواب: أختي.

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبير ٣/ ٤٩٠، طبعة الخانجي، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٢.

الله، فقرأ عليهم القرآن؛ فقال له عبد الله بن أُبيّ: يا أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إِنْ كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، وارجعْ إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. قال ابن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون[1]، فلم يزل النبيﷺ يُخفِّضهم حتى سكتوا؛ فركب النبيﷺ دابته، حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له: «أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حُباب؟»- يريد عبد الله بن أُبيّ- قال سعد: يا رسول الله، أُعفُ عنه واصفح؛ فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهلُ هذه البُحيرة[2] على أن يتوجوه فيعصِّبوه[3]، فلما رُدَّ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ[4] بذلك، فذلك الذي فَعَلَ به ما رأيت[5].

من طرائفه

اذا كان ما ذكرته جزءاً من مناقبه، فقد كانت له طرائف تدل على ذكائه وحسن معالجته للامور التي تقع معه. فمن ذلك، ما رواه القرطبي عن عكرمة قال:

كان ابن رواحة مضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام إلى جارية له في ناحية الحجرة فوقع عليها، وفزعت امرأته فلم تجده في مضجعه؛ فقامت فخرجت،

---

(١) يتثاورون: أي يتواثبون ويتخاصمون.

(٢) البحيرة: البلدة.

(٣) يعصبوه: يسوِّدوه ويملكوه.

(٤) شرق بذلك: غصّ به.

(٥) رواه البخاري في كتاب المرض (باب: عيادة المريض راكباً وماشياً...)، حديث ٥٦٦٣، ص ١٠٠٢-١٠٠٣.

فرأته على جاريته، فرجعت إلى البيت، فأخذت الشفرة ثم خرجت، وفزع فقام فلقيها تحمل الشفرة فقال: مَهْيَمْ[1]؟ قالت: مَهْيَمْ! لو أدركتك حيث رأيتك لوجأت[2] بين كتفيك بهذه الشفرة. قال: وأين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية؛ فقال: ما رأيتني؛ وقد نهى رسول اللهﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب. قالت: فآقرأ- وكانت لا تقرأ القرآن- فقال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إِذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقالت: آمنت بالله وكذّبت بصري. ثم غدا على رسول اللهﷺ فأخبره، فضحك حتى بدت نواجذهﷺ[3].

ابن رواحة الشاعر

كان للشعر أثره الكبير في المجتمع الجاهلي ومجتمع الاسلام أيضاً، فقد يرفع بيت من الشعر اسم قبيلة، وقد يُنزل بيت آخر من مكانة قبيلة كانت تتعالى على القبائل الاخرى الى الحضيض. لذلك كان عمل أبطال القبيلة وشعراؤها يكمِّل بعضها بعضاً في بناء صرح وقوة ومكانة القبيلة، وشعر الأعشى والحطيئة وجرير خير دليل على ذلك. واذا كان الشاعر الذي يذود عن حمى قبيلته بشعره وبيانه له

(١) كلمة يمانية يستفهم بها، معناها: ما شأنك.

(٢) أي لضربت بين كتفيك.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٢٦، ضبطه: محمد صدقي العطار، خرّج أحاديثه: الشيخ عرفان الدمشقي، الطبعة الاولى ١٤٢٨-١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الفكر، بيروت.

منزلة مرموقة في المجتمع، فكيف إذا كان هذا الشاعر قد جمع مع بيانه في شعره بطولته في الحروب، وقوة ضربه بالسيف؟!.

وهكذا نرى ابن رواحةﷺ قد جمع بين الحسنيين: بيانه في شعره الذي يذود به عن الإسلام، وسنانه الذي يقاتل به من يقف بوجه دعوة الله تعالى. ينقل الأصفهاني عن الشعبي قوله: (لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول اللهﷺ:«إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟» فقام عبد الله بن رواحة فقال: أنا. فقال: «إنك لحسن الشعر»، ثم قام كعب فقال: أنا؛ فقال: «وإنك لحسن الشعر»)[1].

ويتحدث ابن سيرين عن مكانة عبد الله بن رواحة في هجاء قريش فيقول:

(كان يهجوهم -يعني قريشا- ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم: بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شر من الكفر؛ فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة)[2].

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ١٦/ ٢٤٦، شرحه وكتب هوامشه: عبد أ. علي مهنا، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

(٢) الأغاني ١٦/ ٢٤٥، وأيضا ٤/ ١٤٤-١٤٥.

وكمثال على ذلك ما كان من أمر عباس بن مرداس، فقد كتب قصيدة امتدح فيها بني النضير، فردّ عليه ابن رواحة بقوله:

لعمري لقد حكّت رحى الحرب بعدما أطارت لؤيا قبلُ شرقا ومغربا
بقيّةَ آل الكاهنيْن وعزها فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا
فطاح سلام وابن سعيةَ عنوةً وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا
وأجلب يبغي العز والذل يبتغي خلاف يديه ما جنى حين أجلبا
كتارك سهل الأرض والحزن همه وقد كان ذا في الناس أكدى وأصعبا
وشأس وعزال وقد صليا بها وما غيبا عن ذاك فيمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما وكعب رئيس القوم حان وخُيِّبا
فبعدا وسحقا للنضير ومثلها إن آعقَبَّ فتح أو إنِ الله أعقبا

وقد مدح النبي ﷺ في شعره فقال:

روحي الفداء لمن اخلاقه شهدت بانه خير مولود من البشر
عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تغني عن الخبر[1].

وقال: في مدحه أيضا:

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

(١) شعراء الرسول ﷺ تأليف وليد الأعظمي ص٨٣ الطبعة الأولى١٤١١-١٩٩٠، المصطفى للتأليف والنشر نقلاً عن المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ١/ ٦٤.

أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا بـه موقنات ان ما قال واقع[1]

ولم ينقل عن ابن رواحة شعر كثير. وربما كان السبب في ذلك: أن هجاءه كان بتعييره قريشاً بالكفر، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بعدما أسلمت قريش؛ تأليفا لقلوب أهلها، فوق أن المهجوين عمل ابناؤهم على طمس تلك الأشعار؛ لينسى الناس مواقف آبائهم المحاربة لدعوة الإسلام.

رضي الله عن عبد الله بن رواحة، وعن صحابة النبي أجمعين! فإنّ دعوتهم الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وجهادهم في سبيل الله، مكّنَ للإسلام أن يأخذ طريقه في أرجاء العالم كله. ويكفينا ثناء الله تعالى عليهم ومدحه لهم في آيات كثيرة تتلى آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٧٨.

المحتــوى

مقدمة..... ٥-٧

الإسلام والشعر..... ٩-٢٩

عناية الأمة العربية بالشعر- الإسلام والشعر- الرسولﷺ يدعو شعراءه إلى الرد على شعراء المشركين- الرسول الكريم والشعر- مواعظه ﷺ تنظم شعراً- إنشاد النبي الشعر- الإستشفاع بالرسول ﷺ شعرا.

حسان بن ثابت رضي الله عنه..... ٣١-٥٤

اسمه ونسبه- حسان في الجاهلية –حسان في الإسلام- حسان شاعر النبيﷺ- تأثير شعر حسان- أول شعر قاله حسان في الإسلام- حسان وغزوة بدر- في غزوة أحد- الرسول ﷺ يستمع إلى شعر حسان- رثاؤه لرسول اللهﷺ- مكارم الأخلاق- من فضائل حسان- في صحبة الخلفاء الراشدين- وفاته.

كعب بن مالك رضي الله عنه..... ٥٥-٧١

نسبه واسرته- إسلامه- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار- في صحبة النبي ﷺ- جهاده في سبيل الله- في غزوة بدر- في غزوة أحد- تخلفه عن غزوة تبوك- رثاؤه للنبي ﷺ- في عهد الخلفاء الراشدين- كعب يدافع عن عثمان في الفتنة- الرسول ﷺيستمع إلى شعر كعب- كعب بن مالك من شعراء الرسول ﷺ- نماذج من شعر كعب- موقفه من الخلاف بين علي ومعاوية-وفاته.

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه..... ٧٣-٩٨

اسمه ونسبه واسرته- اسلامه- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار- ابن رواحة من كتاب الوحي- ابن رواحة وتشريع الجهاد- في غزوة بدر- في غزوة أحد- ابن رواحة أمير للمدينة المنورة- في غزوة الخندق- معجزة للنبي ﷺ- سرية أميرها ابن رواحة- في غزوة مؤتة- من مناقبه- من طرائفه- ابن رواحة الشاعر.

صدر للمؤلف

١- العقيدة الإسلامية
٢-ايماننا الحق بين النظر والدليل
صرخة المنابر
٣-اصول التشريع الدستوري في الإسلام
٤-كلمات من القلب
٥-في صحبة الخلفاء الراشدين
٦-قضايا المرأة المسلمة في مواجهة التحديات
٧-ستة مبشرون بالجنة
٨-ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن الصحابة
٩-السنة النبوية والتشريع
١٠-علوم القرآن
١١-تأملات في آيات القرآن
١٢-الجهاد في التصور الاسلامي
١٣-صور من صحابة رسول الله في القرآن
والسنة
١٤العمل والعمال في الفكر الإسلامي
١٥-تفسير آيات الحجاب
١٦-باقات الورود النضرة من حكايات
المسلمين العطرة
١٧- مع القرآن الكريم تفسير وبيان
١٨-مباحث في اصول التشريع الإسلامي
١٩-محاضرات اسلامية وأبحاث ثقافية
٢٠-السنن الكونية واستعلاء الإيمان
٢١-فقه الداعية
٢٢-السنة النبوية في مواجهة التحديات
٢٣-المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري
٢٤-الإسناد الصحيح المتصل من خصائص
الأمة الإسلامية
٢٥-قطوف دانية من مآثر المسلمين وظلام
الغرب
٢٦-الذكر والدعاء في القرآن والسنة
٢٧-دراسة في مصطلح الحديث
٢٨-رسالة المسجد
٢٩-لغة القرآن
٣٠-العلاج النفسي في القرآن الكريم
٣١-رضينا بالاسلام دينا
٣٢-الإسلام في افريقية الوسطى
٣٣- دراسات قرانية
٣٤-تحقيق كتاب أصول الفقه الإسلامي للشيخ
رشيد الخطيب الموصلي
٣٥-تحقيق كتاب اعتقاد اهل السنة والجماعة
للشيخ عدي بن مسافر الأموي بالاشتراك مع
الشيخ محمد علي الياس العدواني
٣٦- روائع وطرائف
٣٧- روائع اسلامية
٣٨- الوسطية في التصور الإسلامي